الـجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطية الشعبيّة

وزارة التـعليـم الـعالـي والـبـحث الـعلمي

جـامـعـة الـعـقـيـد أحمد دراية – أدرار

جامعة أحمد دراية.أدرار-الجزائر
Université Ahmed Draia.Adrar -Algérie

كلية الآداب واللغات قسم اللّغة والأدب العربيّ

غريب اللفظ وغريب المعنى وأثرهما في شرح النصوص العربية

مذكرة تخرج مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصّص تعليميّة اللغات

إعداد الطالبين:

*بورقبة صهيب.

* توتاو عبد الرحمن.

إشراف الأستاذ:

* محمد بن عبو.

السنة الجامعية

2021/2020

ملخّص المذكّرة:

يتناول هذا البحث موضوع غريب اللّفظ وغريب المعنى، وأثرهما في شرح النّصوص العربية، افتتحت مقدّمتها بالحديث عن الألفاظ اللّغويّة وأثرها في حياة الإنسان مرورا بمختلف محطّات المقدّمة. وقد تضمّنت المذكّرة فصلين اثنين: الأولّ تعريفيّ تطرّقنا فيه إلى تعريف الفصاحة والبلاغة وشروطهما، مع الإسهاب في مفهوم الغرابة في مختلف مستوياتها وأشكالها وأنماطها... كما تضمّن الفصل الثّاني غرابة الألفاظ ومعانيها لدى البلاغيّين والمفسّرين والنّحاة، وتمّ التّركيز على شواهد من الشّعر العموديّ ...وفي الأخير توصلنا للنتائج المرجوة من هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: الفصاحة، البلاغة، اللفظ، المعنى، الغرابة.

Note summary:

This research deals with the topic strange pronunciation and strange meaning, and their impact on explaining Arabic texts. She opened her introduction by talking about linguistic words and their impact on human life passing through the various introduction stations. The memorandum included two chapters: The first is descriptive, in which we discussed the definition of eloquence and rhetoric and their conditions. While dwelling on the concept of strangeness in its various levels, forms and patterns… The second chapter also included the strangeness of words and their meanings among rhetoricians, commentators and grammarians. Emphasis was placed on the evidence of vertical hair… Finally, we reached the desired results from this research.

key words: eloquence, rhetoric, pronunciation ,the meaning, strangeness.

الإهداء

يسرني أن أهدي هذا العمل المتواضع الذي يمثل حصيلة دراستي، وثمرة جهدي إلى نور القلب وسيد الوجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى ملاكي في الحياة ... إلى معنى الحب ومعنى الحنان والتفاني، إلى بلسم الحياة وسرّ الوجود، إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي، إلى القلب الناصح بالبياض ... إلى أمي الحبيبة.

إلى الذي كلّله الله بالهيبة والوقار، إلى من علمني العطاء بدون انتظار، إلى من أحمل اسمه بافتخار. أرجو من الله أن يمد في عمره ليرى ثمارا قد حان قطافها بعد انتظار، وستبقى كلماته نجوما أهتدي بها في اليوم وفي الغد وإلى الأبد .... أبي العزيز

إلى إخوتي... سندي وعضدي ومشاطري أفراحي وأحزاني.

إلى كل من لم أذكر أسماءهم فأذكرهم في قلبي ولهم جميعا شكري وتقديري وامتناني.

إلى أستاذي المشرف الذي كان له الدور الأكبر في مساندتي.

بورقبة صهيب.

إهداء

قال تعالى:"وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا."

إلى من هزت مهدي بيمينها وأسقتني من لبنها حنانها

وحرستني في غربتي فناهت عيني ولم تنم عينها، إلى من كان نجاحي من صنيعها

إلى أغلى من في الدنيا كلها.إليك أنت ...أمي الغالية ...

إلى أول شيء استندت عليه وترعرعت أمام عينيه وبين يديه

إلى أعز من في الكون .... أبي الحبيب...

إلى من كان في مثابة أبي وتكفل بمسؤوليتي ، وكان لي ظهرا يحميني

إليك أخي العزيز... محمد

إلى الغلي ما منحا لي والديا ،أُنسي وسعادتي أختي الغالية : حنـا ن .

إلى الدفء الذي حرمتني منه الأيام إلى من بروحهما حاضرين وجسدهما الغائبين:أختي

فاطمة...وجدتي خديجة...رحمة الله عليهما .

إلى من ساعدني في انجازي هذ العمل : عبد الرزاق..سعاد..زينب..عبد الغاني..عماد.

إلى رفقاء المشوار الدراسي : دليل..الطيبي ..جبار..عبادي..عقباوي..بن

علي..وعلي..خيراوي..موساوي..عقباوي.. إلى كل الفوج 03 .

إلى رفقاء الدراسة فاطمة بولغيتي..حنان ..زينب سموطي..فاطمة...فتيحة..

إلى كل من يحمل لقب: توتاو ..ماسيني ..سموطي ..دحان..موساوي

إلى من جمعتني بهم أجمل الأوقات بالغرفة :H 33 .

إلى كل من سكن قلبي ولم يكتبه قلمي . .

إلى كل من حملته ذاكرتي ولم تسعه مذكرتي..

إلى كل دارس أو قارئ لهاته الرسالة....

مقدمة

الحمد لله وحده، ثم الصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجهم أجمعين وبعد:

فإن للألفاظ اللغوية أثرها في حياة الإنسان، فهي إحدى أدوات التواصل التي يعبر بها عما في الجنان بواسطة اللسان، لأن اللفظ يجسد ما في النفس. قال الشاعر:

لا يعجبنك من خطيب خطبة حتى يكون مع الكلام أصيلا.

إن الكلام لفي الفؤاد، وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا.[1]

ويرتقي دور الألفاظ مع تطور الحياة الفكرية وتقدم العلوم. ويبرز ذلك حين تصبح الألفاظ أوعية الفكر ومظهره. إذ لولاها لما وصلت العلوم والمعارف من السابق إلى اللاحق شيء.

ولما كانت الألفاظ خزائن المعاني وحاضنة المعارف توقف عليها الكثير من الأمور إذ بفهمها فهم مدلولها وتحصيل ما تحويه من معان، ولهذا كانت مقدمة على المعاني عند العلماء. ذكر الإمام مجد الدين بن الأثير ما يلزم لمعرفة علم الحديث، قال " أحدهما معرفة ألفاظه، والثاني معرفة معانيه. ولا شك أن معرفة ألفاظه مقدمة في الرتبة، لأنها الأصل في الخطاب، وبها يحصل التفاهم، فإذا عرفت ترتيب المعاني عليها، فكان الاهتمام ببيانها أولى. " [2]

[1] -ينظر، ابن هشام الأنصاري، شرح شذور الذهب، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى للنشر والتوزيع، مصر، ط 10، (1385 هـ، 1965 م)، ص 28.

[2] مجد الدين بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح أحمد الزاوي ومحمود محمد الطاحني، المكتبة العلمية للنشر والتوزيع، بيرروت، (د، ط)، ج 1، ص 3.

تقديرا لأهمية الألفاظ اشترط الأئمة في الفقيه معرفتها، والإلمام بها، نقل عنهم قولهم: (إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة ...حتى لا غنى لأحد منهم عنه. وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عربي. فمن أراد معرفة ما في كتاب الله عزّ وجلّ وما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل كلمة عربية، أو نظم عجيب، لم يجد من العلم باللغة بدّا. "[1]

وتوسع العلماء في تقدير معرفة اللغة إلى درجة أعلى، حين رفعوا تكليف تعلمها والإلمام بها إلى مرتبة " فرض الكفاية"، قال ابن حزم:" وأما النحو واللغة ففرض على الكفاية. لأنّ الله يقول: ﴿وَمَا أرسَلنَا من رَّسول إلاَّ بلسَان قَومِهِ ليُبَيّنَ لَهُمْ﴾ [2] ، وأنزل القرآن على نبيه عليه السلام بلسان عربي مبين ، فمن لم يعلم النحو واللغة ، فلم يعلم اللسان الذي به بيّن الله لنا ديننا وخاطبنا به ومن لم يعلم ذلك فلم يعلم دينه، ومن لم يعلم دينه، ففرض عليه أن يتعلمه ، وفرض عليه واجب تعلم اللغة والنحو " [3] .

وحقيقة الأمر أن الألفاظ تؤدي دورا جليلاً في حياة الإنسان اجتماعيا وفكريا، فإذا ما أصابها الزلل واعتراها الخطل، تعطل دورها وخفيت دلالتها، فبات الإنسان في حيرة من أمره. ولا غرابة بعد ذلك أن ينشد البحتري:

باللّفظِ يَقْرُبُ فهْمُهُ في بُعْدِهِ عنّا ويبعُدُ نَيْلُهُ في قُرْبِهِ [4]

[1]– أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تح مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للنشر والتوزيع، بيروت، (د، ط)، (1383 هـ، 1964 م)، ص 64.

[2] –سورة ابراهيم، الآية 4.

[3] –ابن حزم، رسالة التلخيص لوجوه التخليص (ضمن رسائل ابن حزم)، تح أبي عبد الملك سعود بن خلف، دار ابن حازم للنشر والتوزيع، (د، ط)، 2012، ج3، ص 162.

[4] –البحتري، الديوان، دار صادر للنشر والتوزيع، دار المعارف للنشر والتوزيع، (د، ط)، 2009، ج 2، ص 335.

ولعظم أهمية الألفاظ وأثر وضوحها وغرابتها في الحياة، قام هذا البحث – والموسوم بـ غريب اللفظ وغريب المعنى وأثرهما في شرح النصوص العربية –بإلقاء الضوء على هذا النوع من التأليف من ظهوره إلى طريقة تناوله من طرف المختصين في تفسير القرآن والحديث أو اللغة.

والإشكالية التي استهدفت البحث معالجتها وتمثلت المحور الذي تدور حوله حيثيات البحث، وعناصر هذا الموضوع هي:

كيف أثر الغريب في شرح النصوص العربية؟ ومن خلال هذه الإشكالية يسعى البحث عن الإجابة عن جملة من الفرضيات منها: ما مفهوم الغريب؟، وما علاقة اللفظ بالمعنى؟، وكيف تناول النقاد والرواة غريب اللفظ والمعنى؟

وتناولنا في هذا البحث مجموعة من الكتب، فمن المصادر والمراجع المعتمد عليها في هذا البحث والمرتبة حسب الترتيب الأبجدي في قائمة المصادر والمراجع نذكر منها: كتاب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم الهروي، وكتاب الأشباه والنظائر في النحو لجلال الدين السيوطي، وكتاب دلائل الاعجاز في علم المعاني لعبد القاهر الجرجاني، وكتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي.

أما الدراسات السابقة التي تناولت مثل هذا الموضوع نذكر منها:

1–دراسة محمد بن حامد العبادي(2009): غريب القرآن لابن العباس دراسة لغوية اجتماعية، والهدف من هذه الدراسة توضيح مسألة الغريب وما له من صلات بأسس المعجم التاريخي العربي.

2-دراسة نجلاء عبد الدائم(2013): غريب الحديث من القرن الثالث الهجري إلى القرن السادس الهجري دراسة تحليلية نقدية، هدفت هذه الدراسة إلى معرفة كتب علماء الحديث الذين كان لهم السبق في الدفاع والذب عن سنة رسول الله بشرح كل ما كان من غريب والتعريف بكل ما هو شاذ أو معجم من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

3-دراسة معتوقة محمد حسن بن زيد الحساني: معاني غريب القرآن نموذج من جزء عم دراسة دلالية تطبيقية الهدف من البحث فهم مراد الله وفهم الغريب من الألفاظ لتستفتح المغالق من آيات الله تعالى المحكم منها والمتشابه ومعرفة ماهية الغريب وبيان المشترك اللفظي لألفاظ الغريب.

وقد طبقنا في هاتّه الدراسة منهجا وصفيا تحليليا تتبعنا فيه المفردات في الكتب وطريقة المؤلف في عرضها. فقسمنا البحث إلى فصلين جاءا على النحو الآتي:

الفصل الأول: تحدثنا بشكل عام عن الفصاحة والبلاغة بين اللفظ والمعنى، بحيث تطرقنا إلى تعريف البلاغة وتعريف الفصاحة ومفهوم اللفظ ومفهوم المعنى وماهية الغرابة والبلاغة والفصاحة بين الدال والمدلول.

أما **الفصل الثاني** فقد تحدثنا بشكل عام عن أثر الغريب في شرح النصوص العربية، بحيث تناولنا فيه غرابة الألفاظ ومعانيها، وتناول كتب التفسير للغريب، وألفاظ الغرابة في استعمال النحاة.

وأتممنا هذه الدراسة بخاتمة تضمنت حوصلة لما استنتجناه من هذا البحث الشيق الذي كشف لنا خبايا اللغة العربية، ثم بعدها قائمة المصادر والمراجع ضمت كنوز ما أولف

في غريب اللفظ والمعنى لعل القارئ أو الباحث يجد ضالته بها. ويأتي أخيراً الفهرس قائمة لمحتويات هذا البحث.

وقد واجهتنا بعض الصعوبات في جمع وإنجار هذا البحث منها قلة المصادر والمراجع التي تدرس هذا النوع رغم كثرة المؤلفات فيه، ومن ذلك أيضا ضيق الوقت وصعوبة التنقل وغلق لبعض المكتبات للظروف الصحية الراهنة، إلا أن ما جمعناه ربما يكون بداية الطريق.

كما يطيب لنا أن نتقدم بجزيل الشّكر إلى الأستاذ المشرف الدّكتور "محمد بن عبو" على كلّ ما قدّمه لنا من توجيهات قيّمة ونيّرة طيلة هذه المدّة والتي كانت ثمار ما توصّلنا إليه في إنجاز هذه المذكّرة المتواضعة، فله منّا فائق الشّكر والعرفان، كما نتقدّم بجزيل الشّكر إلى قسم اللّغة والأدب العربي بجامعة أحمد دراية أدرار من طلبة وأساتذة وإداريين، ولا يفوتنا أن نشكر كلّ من ساعدنا في إنجاز هذا البحث قريبا كان أو بعيدا.

الفصل الأول: البلاغة والفصاحة بين اللفظ والمعنى.

تمهيد.

1 -مفهوم البلاغة.

2 -مفهوم الفصاحة.

3 -شروط الفصاحة.

4 -مفهوم الغرابة.

5 -مفهوم اللفظ.

6 -مفهوم المعنى.

7 -الفصاحة والبلاغة بين الدال والمدلول.

تمهيد:

إنّ النص الأدبي عبارة على لفظ ومعنىً، وهناك من النقاد من تعصَّب للفظ، وهناك من فضل المعنى، وهناك من ترك هذا وذاك وقال بالعلاقة القائمة بينهما، وبحث بعضهم عن دلالة الألفاظ في ضوء المعاني، كلُّ ذلك من أجل تقويم النص الأدبي، وهذه الإعتبارات المختلفة جعلت الدارسين يعنون بقضية اللفظ والمعنى في النقد العربي القديم، وهي من أبرز القضايا التي خاض فيها النقاد قديما، إذ قامت معركة بينهم على أشدها في تحديد دور كل منهما في إعطاء النص الأدبي قيمته الفنية.

1-مفهوم البلاغة:

أ-لغة:

استعمل مصطلح البلاغة في المعاجم العربية للدلالة على معان مختلفة تساعد القارئ على تبين مفهومها واستيعابها ويمكن حصر مفهومها كالآتي:

عرفها الزمخشري بقوله: «وبلغ الرجل بلاغةً فهو بليغ وهذا القول بليغ، وتبالغ في كلامه، تعاطى البلاغة وليس من أهلها، وهو بليغ ولكن يتبالغ.» [1]

ويعرفها صاحب المعجم الوسيط كالتالي: « بلغ الشجر بلوغاً وبلاغاً، حان إدراك ثمره والغلام أدرك والأمر وصل إلى غايته، ومن حكمة بالغة والشيء بلوغاً وصل إليه (بلغ) بلاغة

[1] – أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة، مكتبة لبنان ناشرون للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1997، ص29.

فصح وحسن بيانه فهو بليغ (ج) بلغاء، وتقال بلغ الكلام أبلغه الشيء وإليه: أوصله إليه (بالغ) فيه مبالغة وبلاغا: اجتهد فيه واستقصى وغالى فيه الشيء »[1].

وجاء في لسان العرب لابن منظور: « بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغة وبلاغاً، وصل وانتهي، وأبلغه هو إبلاغاً وتبليغاً »[2].

إنَ تعريفات المعاجم للبلاغة تحمل معنى الوصول وبلوغ الشيء وإدراكه، فمن حسن كلامه وأدَى معنى فهو بليغ، إذاً فالبلاغة في معناها اللغوي هي الوصول والانتهاء إلى المعنى الذي يجول في الصدر.

ب-اصطلاحا:

أورد العلماء عدة تعريفات اصطلاحية للبلاغة نذكر منها:

يعرفها عبد العزيز قليقلة بقوله: «وهي في الاصطلاح البلاغي تختلف باختلاف موصوفها، وموصوفها إمَا الكلام وإمَا المتعلم يقال هذا كلام بليغ، وهذا متكلم بليغ، ولا نوصف بها الكلمة فلا يقال: هذه كلمة بليغة، لأن الكلمة المفردة لا تكون معنى يمكن تبليغه لا توصف بالبلاغة »[3]. وهو يرى أن البلاغة تختَص بالكلام والمتكلم لا بالكلمة لأنه لا يجوز القول بأن الكلمة بليغة فلا توصف الكلمة المفردة بالبلاغة، والذي يوصف بها هو الكلام أو المتكلم وقد جعل الكلمة لا توصف بالبلاغة لأنَها لا تؤدي معنى إلاَ إذا كانت في جملة.

[1] – إبراهيم مصطفى واخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، إسطنبول، تركيا، ط2، ج1، مادة بلغ، ص520.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2000، مج2، مادة بلغ، ص143.

[3] – عبده عبد العزيز قليقلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ط4، 2010، ص31.

ويعرفها الإمام الطَيبي بأنّها «هي توفية خواص التراكيب في إفادتها، وإيراد معنى واحد في طرق مختلفة بدلالتها وتحسينها من جهة المعنى، ونعنى بها التراكيب من حيث هي لا الصادرة عن البليغ لفساد المعنى »[1]. فالمفهوم الذي قدمه الإمام الطَيبي يجمع بين أمرين الأول توفية خواص التَراكيب في إفادتها أي يجب أن يكون للتَركيب إفادة يحسَن السكوت عنها، والثاني إيراد المعنى في طرق مختلفة أي إنَه يمكن أن تكون عدَة تراكيب لمعنى واحد أو بالأحرى اختلاف الصيغة والمعنى واحد.

ويعرفها كذلك حميد أدم ثويني بقوله: « البلاغة في الاصطلاح وصف الكلام، والمتكلم فقط، ولا توصف الكلمة بالبلاغة لقصورها عن الوصول بالمتكلم إلى غرضه ولعدم السَماح بذلك»[2].

إنّ الملاحظ في التَعريفات السابقة للبلاغة أنها تشترك في توفية التراكيب إفادةً يحسن السكوت عنها، إضافة إلى تخصيص البلاغة للكلام والمتكلم دون الكلام لأنّها قاصرة عن تأدية المعنى وهي مفردة، فالكلمة إذا كانت مفردة لا تصل بالمتكلم إلى غرضه والشّرط في الكلام البلاغة.

2-مفهوم الفصاحة:

1-لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: « فصح: الفصاحة: البيان، فصح الرجل فصاحة، فهو فصيح من قوم فصحاء وفِصاح، وفصُحَ، قال سيبويه: كسروه تكسير الاسم نحو قضيب وقضَب، وامرأة فصيحة من نسوة فصاح وفصائح تقول رجل فصيح وكلام فصيح أي بليغ

[1] – الإمام الطيبي، التبيان في البيان، تح عبد الستار حسين زبوط، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، (1416هـ/1926م)، ص225-226.

[2] – حميد أدم ثويني، البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص12.

ولسان فصيح أي طلق... أفصح يريد به بيان القول وإن كان بغير العربيَّة» .[1] إذا الفصاحة هي بيان القول وتأديته معنى يجعل تأثيرا في النفس حتى وإذا كان بغير العربية، كما أنها تعنى الطلاقة في اللفظ، فاللسان الفصيح هو اللسان الطلق، ألفاظه صحيحة تؤدي معنى يؤثر في السَامع.

وعرَفها ابن فارس بقوله: « (فصح) الفاء والصاد والحاء أصل يدل على خلوص في شيء أو نقاء من الشَوب من ذلك: اللسان الفصيح الطليق والكلام الفصيح: العربي والأصل أفصح اللبن: سكنت رغوته وأفصح الرجل: تكلم بالعربية وفصح: جاءت لغته حتى لا يلحن في كتاب ابن ذريد (أفصح العربي إفصاحا وفصح العجمي فصاحة إذا تكلم بالعربية وأراه غلطا والقول هو الأول وحكى: فصح اللبن فهو فصيح، إذا أخدت عنه الرَغوة قال: وتحت الرغوة اللَبن الفصيح»[2]. فالفصاحة عند ابن فارس أيضا لا تخرج عن المعنى اللغوي وهو الظهور والبيان.

2-اصطلاحاً:

جاء تعريف الفصاحة عند أحمد الهاشمي كالاتي: « في اصطلاح أهل المعاني: عبارة عن ألفاظ البينة الظاهرة المتبادرة إلي الفهم والمأنوسة الاستعمال بين الكتَاب والشعراء لمكان حسنها»[3]، فالألفاظ إذا كانت مفهومة جلية تتبادر إلى الأذهان، وتؤثر في النفس وتكون شائعة الاستعمال بين الكتَاب أو الأدباء أو الشعراء، وتحسن في الاستعمال فهي فصيحة.

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، مادة (فصح)، ص 186.

[2] – أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، المقاييس، تح عبد السلام محمد هارون، دار الجبل للنشر والتوزيع، بيروت، (د، ط)، مج4، مادة (فصح)، ص 507/506.

[3] – أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الجبل للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005، ص 11.

وعرَفها عاطف فضل: «تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر مع ملائمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه، والأشخاص يخاطبون به»[1]، إذا كان الكلام واضحا فصيحا يؤدي معنى ويؤثر في النفس ويلائم الموضع الذي قيل فيه وهو فصيح لأنَ الكلام حتى يعتبر فصيحا لابد من أن تتوفر فيه هذه الشَروط.

أما ابن الأثير فيرى أنَ المقصود بالفصاحة« الكلام الفصيح والكلام الفصيح كما يراه الظَاهر البيَن حيث تكون ألفاظه مفهومه في كلامهم، وإنَما كانت مألوفة الاستعمال، دائرة في الكلام دون غيرها من الألفاظ لمكان حسنها»[2]، إذا توفرت هذه الشروط: أن تكون الألفاظ بينَة ومفهومة مألوفة الاستعمال، تؤدي معنى في النفس فهنا تتحقق الفصاحة.

أما الفصاحة في اصطلاح أهل المعاني: «هي الألفاظ الواضحة مألوفة الاستعمال لدى الشعراء والكتاب وتداولها بينهم يدل على فصاحتها وتختص الفصاحة باللفظة المفردة وبالتركيب اللفظي فكلمة(الهعخع) في تعبير البدوي، الذي سأل عن ناقته فقال: (تركتها ترعى الهعخع) ليست فصيحة لأنَ لفظها ليس سهلاً»[3].

يتبن من خلال التعريفات السابقة أنَ الفصاحة هي الألفاظ المألوفة في الاستعمال والمتداولة بين الكتاب والشعراء والتي تؤدي معنى في النفوس هذا ما تعارف عليه معظم العلماء أنّ الفصاحة هي الظهور والبيان.

3-شروط الفصاحة:

[1] – عاطف فضل، البلاغة العربية، دار الرازي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، (1426هـ/2002)، ص37.

[2] – سليمان عيسى سحر، المدخل إلى علم الأسلوبية والبلاغة العربية، دار البداية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011، ص26.

[3] – نبيل أبو حلتم واخرون، موسوعة علوم اللغة العربية، قواعد، صرف، بلاغة، إملاء، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (د، ط)، 2003، ص326.

الفصاحة تقع وصفاً للكلمة، والكلام، والمتكلم.

أ-شروط فصاحة الكلمة:

1-تنافر الحروف: فهو «وصف في الكلمة يوجب ثقلها على السمع، وصعوبة أدائها باللسان بسبب كون حروف الكلمة متقاربة المخارج»[1] . وهو نوعان:

1. شديد في الثقل: «كالظش (للموضع الخشن) ونحو: همخع «لنبت ترعاه الإبل» من قول أعرابي: * تركت ناقتي ترعى الهمخع*»[2]. فهاتان الكلمتان غير فصيحتين؛ لما فيهما من تنافر الحروف تنافرًا شديدًا، يشعر به كل ناطق، وهو خلل واقع في مادتهما.

2. وخفيف في الثقل: «كالنقنقة (لصوت الضفادع)،والنقاخ (للماء العذب الصافي)، ونحو: مستشزرات (بمعنى مرتفعات) من قول امرئ القيس يصف شعر ابنة عمه:

غدائره مستشزراتٌ إلى العلا تضل العقاص في مُثنَّى ومرسل »[3].

ففي هذا البيت «يصف الشاعر حبيبته بكثرة الشعر وغزارته، وأنه لكثافته مقسم إلى أقسام؛ فبعضه مرتفع، وبعضه مرسل، وبعضه مثنى، وبعضه معقوص ملوي، وأن المعقوص منه يتيه ويختفي فيما ثني وأرسل منه»[4]. فهاتان الكلمتان غير فصيحتين؛ لما فيهما من تنافر الحروف، وهو خلل واقع في مادتهما كذلك.

---

[1] – أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1995، ج1، ص21.

[2] – المرجع نفسه، ص21.

[3] – المرجع السابق، ص21.

[4] – حامد عونى، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث للنشر والتوزيع، (د، ط)، 2006، ج5، ص9.

ولا ضابط لمعرفة الثقل والصعوبة سوى الذوق السليم، والحس الصادق الناجمين عن النظر في كلام البلغاء وممارسة أساليبهم.

2-مخالفة القياس: فهو «كون الكلمة شاذَّة غير جارية على القانون الصرفي المستنبط من كلام العرب؛ بأن تكون على خلاف ما ثبت فيها عن العرف العربي الصحيح مثل (الأجلل) في قول أبي النجم من الرّجز:

الحمد لله العلي الأجلل الواحد الفرد القديم الأوَّل»[1].

فإن القياس (الأجلِّ) بالإدغام ولا مسوّغ لفكّه، ويستثنى من ذلك ما ثبت استعماله لدى العرب مخالفاً للقياس ولكنه فصيح.

3-الكراهة في السمع: فهو «كون الكلمة وحشية، تأنفها الطباع وتمجها الاسماع، وتنبو عنه، كما ينبو عن سماع الأصوات المنكرة كالجرشّى للنفس في قول أبي الطيب المتنبي يمدح سيف الدولة من المتقارب:

مبارك الإسم أغرُّ اللقب ... كريم الجرشَّى شريف النَّسب »[2].

[1] – أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص23.

[2] – المرجع السابق، ص24.

وملخَّص القول إنّ فصاحة الكلمة تكون بسلامتها من تنافر الحروف ومن الغرابة ومن مخالفة القياس، ومن الكراهة، فإذا لصق بالكلمة عيب من هذه العيوب السابقة وجب نبذها واطراحها.

ب-شروط فصاحة الكلام: وتتحقَّق فصاحته بخلُوه من ستة عيوب وهي:

1-تنافُر الكلمات مُجتمعة: هي «أن تكون الكلمات ثقيلة على السمع من تركيبها مع بعضها، عَسرة النّطق بها مُجتمعةً على اللّسان (وإن كان كل جزء منه على انفراده فصيحاً) والتنافر يَحصُل: إمّا بتجاوُز كلمات متقاربة الحروف وإمّا بتكرير كلمة واحدة».[1]

ومنه شديد الثِّقل: «كالشطر الثاني في قوله:

وَقبرُ حرب بمكان قفرٌ وَليس قَرب قبر حربٍ قبرُ ».[2]

فقافاته وراءاته قلقة نابية، وكأنها سلسلة تتبرأ بعض حلقاتها من بعض.

ومنه خفيف الثِّقل« كالشطر الأول في قول أبي تمَّام من الطّويل:

كريمٌ متى أمدَحهُ والورى معي وإذا ما لمته لمته وحدي. »[3]

[1] – أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص32.

[2] – المرجع السابق، ص 32.

[3] – المرجع السابق، ص32.

فتكرار الحاء والهاء المتقاربتين في المخرج أوجب فيهما ثقلا.

2-ضعف التأليف: هو« أن يكون نهج الكلام وتأليفه يخالف ما اشتهر من قوانين النحو التي اعتمدها جمهور النحويين، كتقديم المفعول المحصور بإلا، أو إنما، والإضمار قبل الذكر لفظا ومعنى. »[1]

فالأول «كقول مجنون ليلى من الطّويل:

تزودت من ليلى بتكليم ساعةٍ فما **زادَ** إلا ضِعف ما بِي كلامها. »[2]

والثاني« كقول حسان بن ثابت من الطّويل:

ولو أن مجدا أخلد الدهر واحدا من الناس أبقى مجده الدهر مطمعا. »[3]

فتقديم المفعول المحصور ب(إلا) وعود الضمير على متأخِّر لفظاً ورتبةً غير جائزين على المشهور، «أما نحو: فهِم درسه محمد، ونعم رجلاً علي، فإن المرجع في الأول متقدم معنًى، وفي الثاني متقدم حكما، إذ إنّه قد عدل به عن الأصل، لنكتة ستأتي»[4].

[1] – أحمد مصطفى المروغي، علوم البلاغة، شركة القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012، ص28.

[2] – المصدر نفسه، ص28.

[3] – المصدر السابق، ص 28

[4] – المصدر السابق، ص 29.

3-التعقيد اللفظي هو «كون الكلام خفيّ الدّلالة على المعنى المراد به بحيث تكون الألفاظ غير مُرتبة على وفق ترتيب المعاني، وينشأ ذلك التّعقيد من تقديم أو تأخير أو فصل بأجنبي بين الكلمات التي يجب أن تتجاور ويتصل بعضها ببعض وهو مذموم لأنه يُوجب اختلال المعنى واضطرابه، من وضع ألفاظه في غير المواضع اللّائقة بها »[1]. كقول المتنبي من الكامل:

«جفخت وهم لا يجفخونَ بهابهم شيمٌ على الحسَب الأغر دلائل

أصله جفخت (افتخرت) بهم شيمَ دلائل على الحسب الأغر هم لا يجفخون بها »[2].

4-التعقيد المعنوي: هو «خفاء دلالة الكلام على المعنى المراد من أجل ما عاقها من اللوازم البعيدة والكنايات المفتقرة إلى وسائط كثيرة، فتعجز عن أداء حق السفارة بينك وبين المعنى فلا يتضح لك منه المغزى»[3]، ومنه قول العباس بن الأحنف من الطّويل:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

[1] – ينظر: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص34.

[2] – المرجع نفسه، ص34.

[3] – أحمد مصطفى المروغي، علوم البلاغة، ص30.

المعنى الذي يريده: «أنّه يتحمل مر الفراق وآلامه، ويوطِّن النفس على الحزن وعبراته وحرقة الفراق وزفراته، عله يحظى بوصلٍ دائم وسرور لا ينقطع، فطالما نال الصابرون منتهى أمانيهم وفرجت كروبهم »[1]، وهذا معنى مطروق لهجت بذكره ألسنة الشعراء والكتاب.

5-كثرة التكرار: هو «كون اللفظ الواحد اسماً كان، أو فعلاً، أو حرفاً، ووسواء أكان الاسم ظاهراً أو ضميراً، تعدّد مرّة بعد أخرى بغير فائدة»[2] كقوله من الرَجز:

إنّي وأسطارٍ سُطرنَ سَطراً لَقائلٌ يا نصرُ نصرُ نصراَ.

وكقول المتنبي:

أقِل أنل اقطع أجمل علَّ سل أعد زد هشَّ بش تفضَّلْ أدِنِ سُرَّصل

وكقول أبي تمَّام في المديح:

كأنَّه في اجتماع الرُّوح فيه لَهُ في كلِّ جارحةٍ من جسمِهِ رُوحُ.

6-تتابعُ الإضَافات: هو«كون الاسم مضافا إضافةً مُتداخلة غالباً، كقول ابن بابك:

حمامَةَ جَرعا حَومةِ الجَندَلِ لسجَعِي فأنتِ بمرأى من سُعادَ ومَسمع» [3].

[1] – أحمد مصطفى المروغي، علوم البلاغة، ص 30.

[2] – أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص36.

[3] – المصدر السابق، ص36.

وملخص القول: إنَّ فصاحة الكلام تكون بخُلوَّه من تنافر كلماته ومن ضعف تأليفه، وتعقيد معناه، ومن وضع ألفاظه في غير المواضع اللائقة بها.

ج-شروط فصاحة المتكلم: هي «صفة راسخة في نفس المتكلم يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح »[1].

فالملكة: «قسم من مقولة الكيف التي هي هيئة قارة لا تقتضي قسمة ولا نسبة، وهو مختص بذوات الأنفس، راسخ في موضوعه »[2].

وقيل: «ملكة ولم يقل صفة ليشعر بأن الفصاحة من الهيئات الراسخة، حتى لا يكون المعبر عن مقصود بلفظ فصيح فصيحا، إلا إذا كانت الصفة التي اقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح راسخةً فيه» [3].

وقيل: «يقتدر بها ولم يقل يعبر بها ليشمل حالتي النطق وعدمه، وقيل: بلفظ فصيح ليعمّ المفرد والمركب. »[4]

4-مفهوم الغرابة:

[1] – الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، أبحاث للنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص 16.
[2] – المرجع نفسه، ص16.
[3] – المرجع السابق، ص16.
[4] – المرجع السابق، ص16.

أ لغة:

قال الخليل في مقدمة كتاب العين «بدأنا في مؤلفنا هذا بالعين وهو أقصى الحروف وتضم إليه ما بعده حتى تستوعب كلام العرب الواضح والغريب»[1]، فقد جعل الخليل الغريب في مقابلة الواضح وذلك يعنى أن الغريب عنده هو غير الواضح.

والغريب في اللغة «البعيد عن وطنه، جمعه غرباءٌ»[2]، وقالت العرب: "قدفتُهُ نوى غرْبة أي بعيدة»[3]، كما جاء في استعمالهم «أصابهم سهم غرب أي لا يدري راميه»[4]، واشتقوا من مادة غريب أفعالا قالوا: «اغترب فلان إذا تزوج إلى غير أقاربه »[5].

نستنتج من المعنى اللغوي أن مادة (غريب) تحمل في أصولها معنى البعد عن الأنس والانفراد عن أبناء الجنس، لذلك استعاروا منها صورة تشبيهية نقلوها لمن انفرد عن أهله ولا ناصح له، «قالوا وجه كمرأة الغريبة لأنها في غير قومها فمراتها أبدا مجلوّة لأنه لا ناصح في وجهها»[6]، ومن هنا ظهر المعنى الاصطلاحي.

---

[1] – الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، انشارات إسوة للنشر والتوزيع، طهوان، ط3، 2004، ج3، ص55.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، مادة غرب، ص 239.

[3] – الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، (د، ط)، 1978، مادة غرب، ص 447.

[4] – الفيروزابادي، القاموس المحيط، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، 1978، مج1، مادة غرب، ص 111.

[5] – الامام الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1979، مادة غرب، ص470.

[6] – الزمخشري، أساس البلاغة، ص447.

ب اصطلاحا:

يعرفه أبو سليمان محمد الخطابي في شرح معنى الغريب واشتقاقه «أن الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد عن الفهم كالغريب من الناس، وقال إن الغريب من الكلام يستعمل على وجهين: أحدهما أن يراد أنه بعيد المعنى غامضة لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكر، والوجه الاخر أن يراد به كلام من بعدت به الدار ونأى به المحلل من شواذ قبائل العرب فإذا وقعت الكلمة من لغاتهم استغربناها»[1]. فالغريب في الاصطلاح هو الغامض من الكلام والبعيد عن الفهم والغريب من الكلام يستعمل على وجهين: الوجه الأول يراد به اللفظ الذي يصعب فهم معناه بسهولة لبعد معنى اللفظ وغموضه حيث يجسد الفكر معاناة عند تناول مفهومه، والوجه الثاني يراد به كلام القبائل العربية التي بعدت بها الدار والتي أصبح كلامها شاذا لا يقاس عليه حيث إذا سمعنا كلمة من لغاتهم استغربناها.

5-مفهوم اللفظ:

أ-لغة:

[1] – أبو عبيد القاسم الهروي، غريب الحديث، مجلس دائرة المعارف العثمانية للنشر والتوزيع، اباد الدهن، الهند ط1، 1964، ج1، ص 10.

عرفه صاحب المقاييس بقوله: «اللام والفاء والظاء كلمة صحيحة تدل على طرح الشيء وغالب ذلك يكون أن يكون من الفهم، نقول: لفظ بالكلام يلفظ لفظا ولفظت الشيء من فمي وهو شيء ملفوظ ولفيظ»[1].

واللفظ هو في «أصل اللغة مصدر بمعني الرمي، وهو بمعني المفعول فيتناول مالم يكن صوتا وحرفا وما هو حرف واحد وأكثر مهملا أو مستعملا صادر من الفهم أولا لكن خص في عرف اللغة بما صدر من الفهم من الصوت المعتمد على المخرج حرف واحد أو أكثر مهملا أو مستعملا »[2].

وعند بعض المؤلفين المحدثين اللفظ «هو صوت أو مجموعة أصوات تواضع الناس على أن تكون جزءا من الحديث لتنتقل بينهم فكرة من الأفكار »[3].

ومن خلال هذه التعريفات نستنتج أن اللفظ في اللغة يعني طرح الشيء والرمي وما صدر من الفم من الصوت، ويعني كذلك مجموعة أصوات تواضع الناس على أن تكون جزءا من الكلام.

اصطلاحا:

[1] – ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الفكر للنشر والتوزيع، 1979، (د، ط)، ج5، ص 259.

[2] – ينظر، أبو البقاء الكوفي، الكليات، تح عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، (د، ط)، 1998، ص 1273.

[3] – زكي نجيب محمود، فنون الأدب، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط2، 1959، ص04.

اللفظ هو «ما خرج من الفم إن لم يشمل على حرف فصوت وإن اشتمل على حرف ولم يفد معنى فقول، فإن كان مفردا كلمة أم مركب من اثنين ولم يفد نسبة مقصودة لذاتها فجملة أو أفاد ذلك فكلام أو من ثلاثة فكلم»[1]، وهذا يعنى أن اللفظ هو الصوت المشتمل على بعض الحروف الهجائية فإن ذل على معنى يحسن السكوت عليه سمي كلاما.

وبعض المحدثين من النقاد والأدباء يضيفون إلى اللفظ أمور لا تساعد عليها أوضاع اللغة يقال: «فليست اللفظة إذن رمزا يشير إلى فكرة ومعنى فحسب بل هو نسيج متشعب من صور ومشاعر، أنتجتها التجربة الإنسانية وبثت في اللفظة فزادت معناها خصبا وحياة».[2]

فتعريف اللفظ لا يقتصر على أنه رمز يشير إلى فكرة ومعنى فقط بل هو عبارة عن نسيج متشعب من صور ومشاعر، أنتجتها التجربة الإنسانية وبثت في اللفظة.

6-مفهوم المعنى:

أ-لغة:

المعنى لغة «هو ما يقصد بشيء، ولا يطلقون المعنى على شيء إلا إذا كان مقصودا

[1] -جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تح عبد الغال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985، ج3، ص05.
[2] - زكي نجيب محمود، فنون الأدب، ص 03-04.

وأما إذا فهم الشيء على سبيل التبعية فيسمى معنى بالعرض لا بالذات ».[1]

وقال العلوي في الطّراز « والمعنى مفعل واشتقاقه من قولهم عناه أمر كذا، إذا أهمّه وقيل لم نفهم من الكلام معنى لأنّه يعنى القلب ويؤلمه، وهو اسم والمصدر منه عناية يقال عناه الأمر عناية ».[2]

وقد جاء في الهامش في التعليق على هذا الكلام: «هذا كلام لا يدري والصواب أنه مشتق من عنيت الأمر كرميت إذا كنت قاصدا له، فمعنى الكلام مقصده، كتبه سيد المرصفي».[3]

ولا يلبث العلوي أن يصرّح بالمعنى المشهور لهذا اللفظ فهو يقول في نهاية هذه الصفحة «المفهوم من قولنا على المعاني أنها المقاصد المفهومة من جهة الألفاظ المركبة لا من جهة إعرابها ».[4]

[1] – أبو البقاء الكوفي، الكليات، ص 795.

[2] – العلوي بن إبراهيم اليمني، الطّراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، دار الكتب للنشر والتوزيع، (د، ط) ، 1914، ج1، ص10.

[3] – المرجع نفسه، ص10.

[4] – المرجع السابق، ص10.

فالتفسير المشهور للفظ (المعنى) وهو المقصود من الكلام لا خلاف فيه وإنّما الخلاف في فعل هذا اللفظ فصاحب الطراز يرى أنّه من الفعل عني بمعنى أهمّ والمرصفي يرى أنّه من الفعل عنى الأمر إذا قصده.

وقد عرفه ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة على أنّ «العين والنون والحرف المعتّل أصول ثلاثة الأول القصد للشيء بانكماش فيه وحرص عليه، والثاني دال على خضوع وذل والثالث ظهور الشيء وبروزه»[1]. فالمعنى إذن هو إبانة الشيء وإيضاحه والإرشاد.

ب-اصطلاحا:

يعد مفهوم المعنى من المفاهيم الغامضة غير المحددة لدى علماء العرب فنجدهم يصفونه دون تحديده ومن بين هؤلاء العلماء الجاحظ الذي وصفه بقوله: «المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم والمتخلّجة في نفوسهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم، مستوردة خفية، بعيدة ووحشيّة ومحجوبة مكنونة وموجودة في معنى معدودة»[2] .

أمّا الشريف الجرجاني فقد ذكر تعريف للمعاني في قوله: «المعاني هي الصورة الذّهنية من حيث إنّه وضع بإزائها الألفاظ والصور الحاصلة في العقل، فمن حيث يقصد باللفظ سميت معنى، ومن حيث إنّها تحصل من اللفظ في العقل سميت مفهوما، ومن حيث إنّه مقول في

[1] – ابن فارس، مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الفكر للنشر والتوزيع، (د، ط)، 1998، ج4، ص146.
[2] – الجاحظ، البيان والتبين، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ج1، ص75.

جواب ما هو سمّيت ماهية ومن حيث نبوته في الخارج سميت حقيقة ومن حيث امتيازه عن الأغيار سميت هوية»[1]، فالمعنى هو الصورة الذهنية للأشياء الموجودة في العالم الخارجي وهو القصد الذي يقع به القول على وجه دون وجه.

7-الفصاحة والبلاغة بينٌ الدال والمدلول

إنّ القيمة الجمالية الكامنة في التعبير الجيّد دعت النقاد إلى تذوّقه وتفسيره وتسميته بأسماء عديدة، ونعتِه بمجموعة من النعوت؛ لتعليل تلك الجودة، واشتهر من تلك الأسماء لَفْظَا الفصيح والبليغ؛ حيث تناولهما نقاد وبلغاء واقفين عند افتراضات تصبّ كلها في مجراهما، إذ إنّه حين يقال هذا كلام فصيح، أو هذا كلام بليغ (فهل تتعلّق الفصاحة باللفظ والبلاغة بالمعنى؟ والأكيد أنّنا لا نجد أجوبة شافية، وكل ما هو متداول في النظريات النقدية إنّما هو إسهامات، مثلما هو الشأن في محاولة أبي هلال العسكري الذي يعرّف البلاغة «بأنّها بلوغ المعنى قلب السامع والتمكّن من نفسه مع صورة مقبولة وعرض حسن »[2].

إنّه جعل قبول الصورة وحسن العرض من شروط الكلام البليغ، لأنّ القول في رأيه إذا كان رثّ العبارة حسن العرض لا يسمّى بليغا ولو كان الخطاب واضحا مفهوما، وهذا يعني أنّ البلاغة لا يقصد بها إفهام المعنى فحسب، بل يشترط الأداء الحسن، فهذا الفهم أكدّه ابن

[1] – الشريف الجرجاني، التعريفات، ص184-185.

[2] – ينظر، أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح مفيد قميحة، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1989، ص19-20.

الأثير الذي «عدّ البلاغة بأنّها "الوصول والانتهاء في أوضح صورة وأبدع أسلوب حتى تتّسم بالشمول،»[1] ولعلّ هذا التوجّه يستدرجنا إلى مراعاة نظرة عبد القاهر الجرجاني ، ويقودنا إلى ذكر موقفه وتسجيل فهمه الذي مؤداه «أنّ الفصاحة مزيّة تدخل الكلام بعد أن يدخلها النظم لأنّ لفظة ما قد تكوف فصيحة في موضع ومضطربة في موضع آخر»"[2]؛ ويعود هذا كلّه حسب رأيه إلى «أنّ الفصاحة صفة اللفظ من حيث هو لفظ، لا تخلو الفصاحة من أن تكوف صفة في اللفظ محسوسة تدرك بالسمع، أو تكوف صفة فيه معقولة تعرف بالقلب»[3]، فمحال أن تكوف صفة اللفظ محسوسة، لأنّها «لو كانت كذلك لكان ينبغي أن يستوي السامعون للّفظ الفصيح في العلم بكونه فصيحا، وإذا بطل أن تكون محسوسة وجب الحكم ضرورة بأنّها صفة معقولة، وإذا وجب الحكم بكونها صفة معقولة فإنّا لا نعرف للفظ صفة يكون طريق معرفتها العقل دون الحس إلا دلالته على معناه، وإذا كان كذلك لزم منه العلم بأن وصفنا اللفظ بالفصاحة وصف لو من جهة معناه لا من جهة نفسه. »[4]

بيد أنّ ابن الأثير خالف هذا الرأي مستندا في ذلك إلى طبيعة الإدراك إذ يعتقد أنّ جمال اللفظ يدرك إدراكا حسيا عن طريق السمع حين قال: «إنّ أرباب النّظم والنّثر غربلوا

[1] – ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر النشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، (د، ط)، 1420هـ، ج4، ص146.

[2] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز في علم المعاني، تح ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، ط2، 2005، ص 178.

[3] – المرجع نفسه، ص 178.

[4] – المرجع السابق، ص178.

اللغة باعتبار ألفاظها وسبروا وقسّموا، فاختاروا الحسن من الألفاظ فاستعملوه، ونفوا القبيح منها فلم يستعملوه»[1]، فحسن الألفاظ سبب استعمالها دون غيرها، واستعمالها دون غيرها سبب ظهورها وبيانها، فالفصيح «إذاً من الألفاظ هو الحسن ولو كانت الفصاحة لأمر يرجع إلى المعنى لكانت هذه الألفاظ في الدلالة عليه سواء، ليس منها حسن ومنها قبيح، ولمّا لم يكن كذلك علمنا أنها تخصّ اللفظ دون المعنى. »[2]

يفهم من هذا أنّ أحكام ابن الأثير من جهة الفصاحة والبلاغة تدل على أنّه كان يضع نصب عينيه عدّة اعتبارات، منها ما يتعلّق بطبيعة المادة اللفظية المفردة الخارجة عن الصياغة، ومنها ما يتعلّق بطبيعة التركيب والحكم عليه، ومنها ما ينصرف إلى طبيعة الإدراكين الحسي والعقلي ودورهما في عملية التقدير.

[1] – ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص 142.

[2] – المرجع السابق، ص 143.

الفصل الثاني: أثر الغريب في شرح النصوص العربية.

تمهيد.

1-غرابة الألفاظ ومعانيها.

2-تناول كتب التفسير للغريب.

3-ألفاظ الغرابة في استعمال النحاة:

1 ألفاظ الغرابة الصريحة.

2 ألفاظ الغرابة الضمنية.

تمهيد:

اعتنى العلماء قديمًا بموضوع الغريب، وصنفوا فيه تصنيفاتٍ كثيرةً يعسر حصرها، وعُرف مصطلح الغريب في علوم متنوعة كالقرآن، والتفسير، والحديث، وعلوم اللغة، وأصول الفقه، وغيرها. وارتبط هذا المصطلح في غير علم باللفظة المفردة، وتأسس للحكم بغرابة الألفاظ معايير مختلفة تدور حول بيئتها، وزمانها، وسياقاتها، على أن هذه المعايير لا تشي بالضرورة بقبح المحكوم عليه بالغرابة، أو بحسنه.

1-غرابة الألفاظ ومعانيها

الغريب لغة «هو كل ما يعرف أو يؤلف أو يتداول وانتقلت اللفظة من دلالة عامة إلى دلالة خاصة عندما استعملت لتدل على كل لفظ غير متداول» [1]، والغريب «هو الغامض من الكلام»[2]، والمغرّب من الألفاظ "الدال على غير معنى »[3].

لقد انتبه النقاد إلى مسألة مهمة وهي أنّه في زمن الاحتجاج أي قبل سنة 134هـ لا غرابة في ألفاظ الشعر، «إلا أنّ الحديث عن الغرابة بدأ بعد هذا التاريخ بسبب تغير الحياة

[1] – حسين لفته حافظ الزيادي، المعني في النقد العربي القديم حتى نهاية القرن السابع الهجري، مذكرة دكتوراه، ت اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية، كلية الأدب، جامعة الكوفة، 2007، ص73.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص37.

[3] – الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ج1، ص141.

فمن تابع القدماء جاء في شعره بالغريب ولا نستبعد أن يكون لعلماء اللغة أثر في ذلك فهم يرون أنّ الشعر هو الشعر القديم وربما حاول الشعراء الاقتداء بالقديم لينالوا رضا أهل اللغة والشواهد كثيرة فابن الأعرابي استحسن أرجوزة أبي تمام»[1].

وعاذل عذلته في عذله فلما علم أنّها له لم يرض بها.

ولا بد من الإشارة إلى أنّ بعض الرواة كانوا يحبون الغريب ويرفعون من شأن الشعر المشتمل عليه، وقد شاركهم في هذه الرغبة بعض الولاة والشعراء حريصين على إرضائهم «فبشار علم أن مسلم بن قتيبة يحب الغريب ويعد نفسه بصيرا به مدحه بأرجوزة ملأها بالنادر المنتحل من الألفاظ لكن الرواة كانوا يقبلونه ممن عرف عنه البداوة ويرفضون من يتعلمه ولذلك كان الكميت والطرماح يتعلمانه إلا أنّ العلماء أبوا الإفادة منها»[2] لذا رأى الأصمعي «أنّ الكميت تعلم النحو وليس بحجة وكذلك الطرماح وكانا يقولان ما قد سمعاه ولا يفهمانه»[3]، وهذا مقياس البداوة الذي اعتمد عليه النقاد مقياسا لجودة الشعر وسلامته ولذلك لم يوثقوا شعر بعض الجاهليين الذين ترددوا على بعض الحواضر وطال غيابهم عن البادية كأبي دواد الايادي«وهو من شعراء العصر الجاهلي وكان وصافا للخيل، وأكثر أشعاره في وصفها، وله في غير وصفها

[1] – حسين لفته حافظ الزيادي، المعني في النقد العربي القديم حتى نهاية القرن السابع الهجري، ص 74.

[2]– المصدر نفسه، ص 74.

[3] –المصدر السابق، ص74.

تصرف بين مدح وفخر وغير ذلك إلا أنّ شعره في وصف الفرس أكثر»[1]، وعدي بن زيد« وكان شاعرا نصرانيا من أهل الحيرة عاش في القرن السادس الميلادي وكان من دهاة الجاهلية فصيحا يحسن العربية والفارسية، والرمي بالنشاب»[2]،وكان الأصمعي يصفهما بلين اللسان، ويقول:

«لا تروي العرب أشعارهما لأنّ ألفاظهما ليست بنجدية وكان مقياس الأصمعي صارما بهذا قال أبو حاتم قلت للأصمعي أتجيز(أنك لتبرق وترعد) فقال لا إنّما هو (تبرق وترعد)، فقلت فقد كان الكميت أبرق وأرعد يا يزيد فما وعيدك لي بضائر، قال ذاك جر مقاني من أهل الموصل ولا آخذ بلغته »[3].

ولابد من الإشارة إلى أنّ الحديث عن الغرابة وعدمها كثر بعد العصر الأموي حيث ازداد الاختلاط بالأعاجم أما قبل هذا التاريخ فلم ترد إشارة تشير إلى الغرابة لأنّ الألفاظ لم تكن غريبة عصرئذ، «ولعل اهتمام النقاد العرب القدامى باللفظة يعود إلى أنّها الوسيلة التي يعرف بها ما في العمل الأدبي من قيم فنية، لأنّها الأداة التي ينقل بها الأديب تجربته الشعورية. لذا أكد بشر بن المعمر (وهو فقيه معتزلي من أهل الكوفة تنسب إليه فرقة البشرية ت825م)[4]

[1] – أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، 2010، م 16، ص402.

[2] – محمد جبار المعيبد، ديوان عدي بن زيد العبادي، وزارة الثقافة والإرشاد العراقية للنشر والتوزيع، 1965، ص4.

[3] – حسين لفته حافظ الزيادي، المعني في النقد العربي القديم حتى نهاية القرن السابع الهجري، ص74.

[4] – عباسية بن سعيد، محاضرات في مقياس النقد الأدبي القديم، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 2020، ص2.

في صحيفته على ضرورة اختيار الألفاظ التي لا يشعر المتلقي معها بالغرابة التي تعوقه عن الإدراك ولا بابتذالها الذي يهبط بها إلى مستوى كلام العامة»[1]، والشاعر البليغ عند بشر هو« الذي يمكنه أن يبلغ من بيان لسانه، وبلاغة قلمه، ولطف مداخله، واقتداره على نفسه أن يفهم العامة المعاني الخاصة وسبيله إلى ذلك أن يكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطف عن الدهماء ولا تجفو عن الاكفاء. »[2] فهو يجمع في وصفه للألفاظ بين العذوبة، والفخامة، والسهولة حينئذ فلا كشف ولا ابتذال كما أنّه لا إخفاء ولا إغراب.

أما الأصمعي « فقد التفت إلى الألفاظ الغريبة في شعر ابن أحمر الباهلي ومنها لفظة الجبر في قوله:

واسْلم بِراوُوقٍ حُييت به وانْعَم صباحًا أيَّها الجَبر

والديدبون في قوله:

خلوا طريق الدَّيْدُبونِ فقد فات الصَّبا وتفاوت النَّجر»[3].

[1] –ينظر، عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبين، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، مصر، ط5، 1985، ص137.

[2] – حسين لفته حافظ الزيادي، المعني في النقد العربي القديم حتى نهاية القرن السابع الهجري، ص 75.

[3] – ينظر، بدوي بطانة، قضايا النقد الأدبي، دار المريخ للنشر والتوزيع، الرياض، (د، ط)، 1984، ص 169.

إلا أنّه يمكننا القول إنّ الأصمعي «يعرف الغريب جيدا وهذه الألفاظ التي وردت في شعر ابن أحمر قد لا تكون مستعملة من قبل، فمن المرجح أن يكون الشاعر ابتدعها ولا يقدر الأصمعي على تخطئته لأنه من القدماء وإلا فالأصمعي بحسب ما متوفر عنه من أقوال لم يقل هذه اللفظة غريبة وهذه غير غريبة فهو يقول البلاغة أن تظهر المعنى صحيحا واللفظ فصيحا. »[1]

أما ابن سلام الجمحي فكان الاحتفال بالغريب أحد المقاييس التي اعتمد عليها في تقديم النابغة على طرفة فجعل الأول في الطبقة الثالثة وقال عنه«وكان فصيحا كثير الغريب متمكنا من الشعر وأخر الثاني إلى الطبقة الرابعة لسهولة منطقه وقلة ما بأيدي الرواة من شعره»[2] والذي بعث الرواة على الاحتفال بالشعر الكثير الغريب هو اعتقادهم بأنه صحيح النسبة إلى قائليه أو غير منحول لأنّهم كانوا يرون« أن الشاعر إذا لانت ألفاظه حمل عليه ما لم يقله فكأن لين ألفاظه يسهل على الوضاعين مجاراته والنسج على منواله قال ابن سلام وعدي بن زيد كان يسكن الحيرة ومراكز الريف فلان لسانه وسهل منطقه فحمل عليه شعر كثير وتخليصه شديد »[3].

[1] – حسين لفته حافظ الزيادي، المعني في النقد العربي القديم حتى نهاية القرن السابع الهجري، ص 75.

[2] – المصدر نفسه، ص75.

[3] – ينظر، المصدر السابق، ص 75.

أما في زمن الجاحظ فقد شاعت الألفاظ الغريبة، « ولذا راح الجاحظ يؤكد على ضرورة أن يتجنب الكاتب الألفاظ الغريبة قال كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا وساقطا سوقيا كذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا. »[1]

ولعل الجاحظ هنا يؤكد على حسن اللفظ وتفحص مواطن الجمال فيه والمقومات التي يجب أن يتوافر عليها الكلام ليكون حسنا مراعيا في ذلك الأثرين النفعي والجمالي في الفن لما ذلك من دخل في بلوغ النص مرتبة البلاغة، «لأنّ البليغ من يكسو عباراته جمالا فنيا مرده إلى رشاقة الألفاظ وجزالتها وسهولتها وعذوبتها وانكشاف دلالتها»[2]، مع الالتفات إلى أن الحسن يكون متباينا بحسب المقامات والأحوال لأنّ «من الألفاظ ما هو حسن في موضع وقبيح في موضع آخر »[3].

لقد تفحص الجاحظ حسن الألفاظ لأنّها أداة يبلغ بها المراد، فكلما كانت الأداة حسنة كان المعنى المعروض حسنا، فضلا عن هذا ذم الجاحظ استعمال الغريب عن عمد في الخطاب اليومي ويبدو أن اللجوء إليه تكلف ليفيد النص بقدر ما يسئ إليه إذ أنّه يحول بين المخاطب والمتلقي الذي يجد صعوبة كبيرة في فهمه لأنّ ذلك يستدعي الاستيعاب الشامل

[1] – عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبين، ص137.

[2] – ينظر، عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تح عبد السلام محمد هارون، مصطفي ألباني الجاحظ، دار القاهرة للنشر والتوزيع، مصر، ط2، 1968، ص132.

[3] – ينظر، أبو القاسم الزمخشري، أسرار البلاغة، ص19-20.

للألفاظ الإعرابية والمهجورة، «ويروي أبو عمارة أنّ غلاما اتى أبا الأسود الدؤلي يلتمس بعض ما عنده وقد ورد في كلامه(حظيت وبظيت) فقال له الأسود: ما بظيت، قال الفتى:" حرف لم يبلغك، قال: يا ابن أخي لا خير فيما لم يبلغني »[1].

ويُظهر الجاحظ استنكاره لمثل هذه الألفاظ الغريبة؛ ذلك أنّ الكلام غير واف بالغرض الأساسي من كل تواصل لفظي وهو الافهام من طرف القائل، والتفهم من طرف المقول له والسبب يرجع لا شك للغريب الذي تكلفه فضلا عن هذا هناك رأي لسهل بن هارون يقول: «والناس موكلون بتعظيم الغريب واستطراف البعيد وليس لهم في الموجود والراهن وفيما تحت قدرتهم من الرأي والهوى مثل الذي لهم في الغريب والقليل والنادر الشاد وكل ما كان في ملك غيرهم إلا أنّ الغرابة هنا شيء اخر يعني النفاسة والتفرد والابتداع لا الغرابة اللغوية»[2].

ويذهب أبو العباس ثعلب في كتابه قواعد الشعر« إلى حث الشعراء على استعمال اللفظ الجزل وهو ما سلم من الغرابة والوحشية والاستكراه، وارتفع عن السوقية والابتذال أي يكون وسطا بين الحالتين قال: فأما جزالة اللفظ فما لم بالمغرب البدوي، ولا السفساف العامي ولكن ما اشتد اسره وسهل لفظه ونأى واستصعب على غير المطبوعين مرامه وتوهم مكانه »[3].

[1] – عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبين، ص379.

[2] – حسين لفته حافظ الزيادي، المعني في النقد العربي القديم حتى نهاية القرن السابع الهجري، ص 76.

[3] – وليد قصاب، قضية عمود الشعر في النفد العربي القديم، المكتبة الحديثة للنشر والتوزيع، دبي، ط2، 1985، ص37.

فهو يرى«أن غرابة الألفاظ تتأتى عادة من طريق ندرة استعمالها وعدم جريانها في أكثر ما يقرأ أو أكثر ما يسمع فضلا عن وجود عيب في بنية تلك الألفاظ يحدث ثقلا على السمع، أو يكد اللسان النطق بها بسبب مخارجها، وكأن عدم دوران تلك الألفاظ على الألسنة، وقلة استعمالها هو الذي جعلها غريبة»[1].

إذا كثر الحديث عن الغرابة المسببة للغموض في العصر العباسي وذلك مع ظهور الشاعر أبي تمام الذي يرى الآمدي أنّ سبب وقوعه في الغموض هو طلبه للبديع إذ يقول«فهذا واشباهه الذي قال الشيوخ فيه من أن يريد البديع فيخرج إلى المحال، فضلا عن هذا شخص الامدي سببا آخر يؤدي إلى غموض المعاني الشعرية، والسبب هو لجوء الشاعر إلى استعمال الألفاظ المتروكة من اللغة وقد حصل هذا الشيء مع أبي تمام فهو على حد قول الآمدي يتتبع الألفاظ المتروكة ليدخلها في شعره »[2].

ومن تلك الألفاظ لفظة كهل في قوله:

لقد طلعت في وجه مصر بوجهه بلا طائر سعد ولا طائر كهل

[1] – حسين لفته حافظ الزيادي، المعني في النقد العربي القديم حتى نهاية القرن السابع الهجري، ص 76.

[2] – المصدر نفسه، ص 77.

ويبدو أنّ« استهجان لفظة كهل ينبع من كون هذه اللفظة قليلة الاستعمال قياسا إلى ألفاظ البداوة الأخرى، أي أنّ الناقد يجيز للشاعر استعمال الألفاظ البدوية المألوفة والشائعة ونبذ الألفاظ المهجورة »[1].

وقد نبه المرزباني إلى أنّ الألفاظ تكون سببا للغموض، إذا كانت من الغريب الذي بعد العهد به وقل تداوله، « إذ أورد أنّه قد سلك قوم من شعراء الأعراب الزلل والخطأ في أشعارهم مع رقة أذهانهم وصحة قرائحهم واقتدارهم على غريب الكلام فقال رجل منهم يصف رأس بعيره

ترى شئون رأسها العَوارِدا مضبورَةٌ شَبًا حدائدا

ضَبْرَ بَراطيل إلى جَلامِدا»[2].

قال: «وما رأيت عالما إلا وهو يذم هذا القول ويستقبح هذا النسج»[3]، وكلام المرزباني هذا يعود بنا إلى زمن الغرابة «إذ لو قال هذا العجاج أو رؤية لم يستقبح منه لأنه ليس غريبا في زمانهما إلا أنّها في زمن المرزباني صارت ألفاظا حوشية مستهجنة غير محببة إلى النفس كونها صدرت عن الأعراب وهي تتلاءم مع بيئتهم فالزمن الذي عاش فيه الأعرابي غير الزمن

[1] – ينظر، ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تح عبد المتعال الصعيدي، مكتبة محمد علي ضبيح وأولاده للنشر والتوزيع، الأزهر، (د، ط)، 1969م، ص 57.

[2] – حسين لفته حافظ الزيادي، المعني في النقد العربي القديم حتى نهاية القرن السابع الهجري، ص 77.

[3] – ابن موسى المرزباني، الموشح، تح علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د، ط)، 1966م، ص 379.

الذي يعيش فيه الناقد»[1]، فضلا عن هذا لاحظ المرزباني أنّ ظاهرة استعمال الألفاظ الوحشية ترد عن الأعراب عادة وأنّ أغلب هذه الألفاظ مستهجن غير محبب إلى النفس إذ أن الجزالة تتجافي عن وحشية الألفاظ وغرابتها فضلا عن السهولة المفرطة وإنما اللفظ الجزل ما كان وسطا بين هاتين الحالتين ورد ذلك في قوله« ومن الأعراب من شعره أيضا قطيع التوحش مثل ما أنشدناه أحمد بن يحي عن الأعرابي لمحمد بن علقمة التميمي يقولها لرجل من كلب يقال له ابن القنشج ورد عليه فلم يسقه »[2].

«أفرخ أخا كلب وأفرخ أفرخ أخطأت وجه الحق في التّطخطخ

أما وربّ الراقصات الزّمّخ يخرجن من بين الجبال الشّمّخ

يزرن بيت الله عند المصفرح لتمطخنّ برشاء ممطخ»[3].

لاحظ المرزباني «أنّ الوحشية في الألفاظ التي استعملها الشاعر قد فقدت الألفة بها، لما فيه من الخشونة، والوعورة التي أضفت عليها ثقلا تنفر منه الأسماع، وتتحاشاه الألسنة لأنه يكدها، ولا يقوى عليه إلا الجفاة الفلاة من أهل البادية واشباههم فظهر ذلك في ألفاظهم

[1] – حسين لفته حافظ الزيادي، المعني في النقد العربي القديم حتى نهاية القرن السابع الهجري، ص 78.

[2] – ابن موسى المرزباني، الموشح، ص542-543.

[3] – المصدر السابق، ص 543.

الشعرية التطخطخ والزمخ وتمطخن»[1]. وهذه الألفاظ تصور البيئة التي يعيشون فيها فصلا عن جفاء الاعراب.

وكثير ما يقع الدارس على تأكيدات القدامى من متتبعي شعر أبي تمام وشارحه على« أنّه كان مولعا بغرائب الألفاظ والمعاني، وهي تأكيدات تصدق لا على أبي تمام ومن سلك طريقته في التعبير فحسب وإنما تصدق بقدر أو آخر على اتجاه الشعر المحدث جميعه، لأنّ البحث عن المعنى الجديد والغريب تحول على يد هؤلاء الشعراء إلى ظاهرة اكتفي النقاد بملاحظتها وإحصائها من دون أن يجهدوا أنفسهم في البحث عن أسبابها »[2].

ومن تلك الملاحظات والصور التي جاء بها المرزباني ليدلل على استعماله للغريب قوله:

وقد سدّ مندوحة القاصِعَاءِ منهم وأمسك بالنافِقَاءِ

إذ علق عليها بقوله: « القاعصاء حجر اليربوع الأول الذي يدخل فيه، والنافقاء موضع يرقه من حجره فإذا أتى من قبل القاعصاء ضرب النافقاء ففتحه ولم نعب من هذه الألفاظ شيئا

[1] – حسين لفته حافظ الزيادي، المعني في النقد العربي القديم حتى نهاية القرن السابع الهجري، ص 79.

[2] – المصدر السابق، ص 79

غير أنها من الغريب المصدود عنه وليس يحسن من المحدثين استعمالها، لأنها لا تجاور بأمثالها ولا تتبع أشكالها فكأنها تشكو الغربة في كلامهم »[1].

إنّ مهارة الشاعر في رسم صورة دقيقة لهذا الحيوان الذي يحاول أن يوهم عدوه من خلال الحجر الذي أقامه أولا كستار يحتمي به من أعدائه ليلجأ إلى الموضع الثاني، إلا أنّ هذه الألفاظ في زمن الناقد صارت غريبة لم يعد المتلقي يستسيغها بسبب غموض معناها ولهذا ترى المرزباني يفسر معنى الكلمات لغرض إفهام المتلقي ومن الباحثين من يري« أن سبب ذلك إطلاع أبي تمام على شعر القدامى وممارسته له ولعل ذلك كان تعمدا من أبي تمام ليدلل على علمه باللغة ومعرفته لكلام العرب،»[2] ومن الجدير بالذكر « أنّ الاقتنان بالغريب ناتج من تعلق العرب بالشعر القديم والحياة البدوية بشكل عام لأنها الطابع الأصيل لحياة العرب لذا يقول الجرجاني عن أبي تمام حاول الاقتداء بالأوائل في كثير من ألفاظه فحصل منه على توعير اللفظ»[3]. إذا الغرابة نشأت من محاولة الشعراء النسج على منوال الشعر القديم.

[1] – حسين لفته حافظ الزيادي، المعني في النقد العربي القديم حتى نهاية القرن السابع الهجري، ص 79.

[2] – عبد الفتاح لاشين، الخصومات البلاغية والنقدية في صنعة أبي تمام، دار المعارف للنشر والتوزيع، مصر، (د، ط)، 1982، ص71

[3] – علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، (د، ط)، 1966، ص14.

ويبدو أن القاضي الجرجاني «يريد من الشاعر أن تكون ألفاظه صورة تعبر عن حضارة مجتمعه وبيئته التي يعيش فيها يعزز ذلك قوله: إنّ القوم كانوا يختلفون في ذلك وتتباين أحوالهم فيرق شعر أحدهم ويصلب شعر الآخر ويسهل لفظ أحدهم ويتوعر منطق غيره»[1].

أما أبو هلال العسكري فقد أحس بتغير الحياة وأثر ذلك على اختبارات العلماء من الشعر، «لذا اعترض أبو هلال على اختيارات المفضّل الضبّي لأنّ فيها غريب فما كان مقبولا عند المفصل لم يعد كذلك عند أبي هلال بفعل الزمن »[2].

أما جازم القرطاجني فقد أراد أن يلتمس العذر للشاعر في استعماله للألفاظ الغريبة وذلك في قوله «كما أنّ ما عذب من الألفاظ ولم يكن وحشيا ولا عاميا أجدر أن يعتمد في الشعر غيره لكن الشاعر أيضا يضطر حيث يريد تحسين قبيح أو تقبيح حسن أو تتميم ناقص فيستعمل الحوشي والعامي من الألفاظ مضطرا في ذلك»[3]. إذا حازم يربط بين الأثر النفسي والمضمون الشعري فضلا عن ربطه بين الإبداع الفني وبين الألفاظ التي تأتي عفوا فخزين الشاعر من الألفاظ نتيجة الثقافة التي تلقاها عن طريق قراءة الدواوين الشعرية السابقة فضلا عن البيئة التي يعيش فيها وما تحمل من مفردات.

---

[1] – علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص17.

[2] – أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص9.

[3] – ابن حسن جازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية للنشر والتوزيع، تونس، (د، ط) 1966، ص82

وهذا رأي ذو قيمة علمية؛ لأنّه يحمل دعوة لتوسيع الإنسان لقدراته المعرفية باستمرار وهي قضية يجب التنبه إليها عند الحديث عن الغرابة.

ومن الجدير بالذكر «إنّ الغرابة هنا تقوم على أساس زماني فما لا يعرفه المحدث قد يكون متداولا عند القدماء بألفة وكثرة»[1]، والمشكل ليس في استعمال المحدث لها من حيث هي لقطة «وإنّما في عدم معرفته بما هو نفسه وعدم تجربتها فتبدو طريقة توظيفه لها غير مستساغة لسببين هما افتعال التوظيف، وأحيانا الخطأ فيه وتجاهل المتلقي وحدوده المعرفية.»[2]

2-تناول كتب التفسير للغريب

أفرد هذا العلم بالتصنيف عدد جم من العلماء وكانت بداية هذا العلم في عهد أصحاب (النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم أجمعين) ، وكان في مقدمة من فسروا غريب القرآن الكريم الصحابي الجليل عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما وذلك من خلال الأسئلة التي طرحها عليه نافع ابن الأزرق حيث ورد في ذلك «بينما عبد الله ابن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن ، فقال نافع ابن الأزرق لنجدة ابن عويمر: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به فقاما إليه فقالا : إنّا نريد أن نسألك عن أشياء في كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب ، فإن الله

[1] – حسين لفته حافظ الزيادي، المعني في النقد العربي القديم حتى نهاية القرن السابع الهجري، ص 81.

[2]– المصدر السابق، ص 81.

تعالى أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فقال ابن عباس : سلاني ، عما بدا لكما» [1] ، فكانت إجابات ابن عباس على مسائل نافع بمثابة نواة لتفسير غريب القرآن .

وممن ألفوا كتبا في هذا المجال أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي صاحب كتاب المجاز وأبو عمر الزاهد وابن دريد ، ومن أشهر هذه المؤلفات كتاب العزيزي وهو شيخ ابن الأنباري، ويعد كتاب المفردات من أحسن هذه المؤلفات .

يذكر صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن في حديثه عن الغريب ما نصه: « هو معرفة المدلول، وقد صنف فيه جماعة منهم: أبو عبيدة "كتاب المجاز، وأبو عمر غلام ثعلب " ياقوتة الصراط " ومن أشهرها كتاب ابن عزيز ، ومن أحسنها كتاب المفردات» [2].

وقال ابن الصلاح: « وحيث رأيت في كتب التفسير قال أهل المعاني فالمراد به مصنفو الكتب في معاني القرآن كالزجاج ومن قبله» [3] .

وقد اهتم أولئك الرجال بهذا العلم الرفيع فصنفوا مؤلفات في غريب القرآن وإعرابه حتى تتجلى معانيه، وديننا الحنيف أمر بذلك، فقد أخرج البيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعا : «

[1] – جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص 157

[2] – الإمام بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د، ط)، 2004، ج1، ص35.

[3] – أبو عبد الرحمان الزبدي، غريب القرآن وتفسيره، تح محمد سليم الحاج، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1981، ط1، ص 45.

أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه ، وأخرج مثله عن عمرو ابن عمرو ابن مسعود موقوفا وأخرج من حديث ابن عمر مرفوعا : من قرأ القرآن وأعربه كان له بكل حرف عشرون حسنة ، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات »[1]، المراد بإعرابه «معرفة معاني ألفاظه، وليس المراد به الإعراب المصطلح عند النحاة وهو ما يقابل اللحن »[2]، لأن القراءة مع فقده ليست قراءة ولا ثواب فيها، وعلى الخائض في ذلك التثبت والرجوع إلى كتب أهل الفن وعدم الخوض بالظن.

والصحابة عليهم رضوان الله وهم العرب العرباء وأهل اللغة الفصيحة، وهم من نزل القرآن عليهم، نجدهم أحيانا توقفوا في ألفاظ لم يعرفوا معانيها فلم يقولوا فيها شيئا. أخرج أبو عبيد في الفضائل عن ابراهيم التميمي «أنّ أبا بكر الصديق سئل عن قوله: ﴿وفَاكِهةً وأبًّا﴾ فقال: أي سماء تظلّني وأي أرض تقلّني إن أنا قلت في كتاب الله بما لا أعلم؟ »[3].

وأخرج عن أنس« أن عمر ابن الخطاب قرأ على المنبر ﴿ وفَاكِهةً وأبًّا﴾، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأَبُّ ؟ ولما رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو الكلف ياعمر »[4].

---

[1]– الفاضل الباقلاني، الاتقان في علوم القرآن–وبأسفل الصحائف إعجاز القرآن، مطبعة البابي الحلبي للنشر والتوزيع، مصر، ط4، 1978، ج1، ص149.

[2] – المصدر نفسه، ص157.

[3] – المصدر السابق، ص149.

[4] – المصدر السابق، ص 149.

وأخرج عن طريق مجاهد عن ابن عباس قال: « كنت لا أدري ما فاطر السماوات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها »[1] .

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: « قال ابن عباس ما كنت أدري ما قوله: ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق، حتى سمعت قول ثبت ذي يزن: تعال أفاتحك: أي أخاصمك ».[2]

وهذه النماذج تؤكد أن أصحابه (صلى الله عليه وسلم) ما كانوا يجترئون على تفسير المفردات الغريبة والغامضة إلا إذا وجدوا لها شواهد من فصيح لغة العرب وأقوالهم.

إذا تأملنا في كتاب " المجاز " باعتباره من أوائل ما جمع في تفسير الغريب، وقد عرفنا سابقا أن البعض يرى أنه أي أبو عبيدة أول من جمع كتابا في هذا المجال، فنراه يؤكد أن القرآن عربي وأن من سمعه من النبي (صلى الله عليه وسلم) وعن أصحابه لم يحتاجوا في فهمه إلى السؤال عن معانيه لأن القرآن كان يجري على ألسنتهم وحمل خصائص لغتهم من زيادة وحذف وإضمار وتقديم وتأخير.

وعن اسم كتاب أبي عبيدة وردت أسماء أخرى تتصل بالقرآن مثل « غريب القرآن، معاني القرآن، إعراب القرآن»[3].

---

[1] – الفاضل الباقلاني، الاتقان في علوم القرآن ص 149.

[2] – المصدر نفسه، ص150.

[3] – صنعة أبو عبيدة التميمي، مجاز القرآن، تح محمد فؤاد سركين، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، ط2، 1987، ص17.

ويتساءل كثير من الباحثين عن هذه المؤلفات، هل جميعها لأبي عبيدة أم أنها معدودة والمسمى واحد؟ يقول فؤاد سيزكين وهو محقق وباحث علق على كتاب المجاز وحقق نصوصه: « والذي نظنه أن ليس لأبي عبيدة غير كتاب المجاز وأن هذه الأسماء أخذت من الموضوعات التي تناولها المجاز. »[1]

وقال أيضا: « ومهما كان الأمر فإن أبا عبيدة يستعمل هذه الكلمات مجاز كذا وتأويله، ومعنى هذا أن كلمة المجاز عنده عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته. »[2]

وفي فهرست ابن خير الإشبيلي: « أول كتاب جمع في غريب القرآن ومعانيه كتاب أبي عبيدة معمر ابن المثنى وهو كتاب المجاز » [3].

وإذا نظرنا في مؤلف آخر من الكتب التي تناولت غريب القرآن، لنتعرف من خلاله على فهم صاحبه وتناوله لمعنى غريب القرآن، نجد بين أيدينا كتاب معاني القرآن للزجاج يذكر المحققون أنّه أهم الآثار التي خلفها، وكُتاب التراجم يضعونه دائما في رأس القائمة في كتبه والاسم الكامل للكتاب معاني القرآن وإعرابه، يقول عنه صاحبه في تقديمه له « هذا كتاب إعراب القرءان ومعانيه» [4]. فقدم الإعراب على المعنى ويؤكد هذا قوله بعد ذلك « وإنما نذكر

[1] – صنعة أبو عبيدة التميمي، مجاز القرآن، ص18.

[2] – المصدر نفسه، ص18.

[3] – المصدر السابق، ص18.

[4] – الزجاج ابن إسحاق إبراهيم ابن السري، معاني القرآن وإعرابه، تح عدره شبلي، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ج1، ص 184.

مع الإعراب المعنى والتفسير لأن كتاب الله ينبغي أن يتبين ألا ترى أن الله يقول: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾[1]، فحضنا على التدبر والنظر ولكن لا ينبغي لأحد أن يتكلم إلا على مذهب اللغة أو ما يوافق أهل العلم » [2] .

فالزجّاج أولى اهتماما كبيرا بإعراب القرآن الكريم وتوصل إلى معاني الألفاظ الغريبة.

جاء بعد أبي عبيدة معمّر بن المثنّى اللّيثيّ أبو الحسن النضر ابن شميل المازني النحوي، وجمع أكثر منه، توفي 204 هـ.

ثم جمع أيضا عبد الملك بن قريب الأصمعي كتابا أحسن فيه وأجاد وكذلك محمد بن المستنير المعروف بقطرب وسمى كتابه (غريب الآثار) وغير هؤلاء من الأئمة الذين انبروا لخدمة هذا العلم الشريف.

وذكر صاحب كشف الظنون منهم: « أبو الحسن سعيد ابن مسعدة الأخفش الأوسط المتوفي سنة (221 هـ) والنضر ابن شميل البصري المتوفي سنة (203 هـ) »[3].

وقال السيوطي في الإتقان عن كتب الغريب: «ومن أحسنها المفردات للراغب (ت596 هـ)، وكيفما اختلفت هذه المؤلفات في تسمياتها مجاز القرآن، معاني القرآن، لغات القرآن مثل

[1] – سورة النساء، الآية 82.

[2] – الزجاج ابن إسحاق إبراهيم ابن السري، معاني القرآن وإعرابه، ص185.

[3]– حاجي الخليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر للنشر والتوزيع، (د، ط)، 2007، م5، ص1207.

كتاب أبي حيان الأندلسي والمسمى أيضا تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب فإنها تدور في فلك تفسير المفردات الغريبة في القرآن الكريم »[1].

وأهم ما في هذا الأمر أن هؤلاء المؤلفين قدموا خدمة لا تقدر لقراء كتاب الله العزيز ولسالكي طريق المعرفة والاطلاع في تفسير القرآن الكريم.

3-ألفاظ الغرابة في استعمال النحاة:

إنّ مصطلح الغريب عند النحاة له دور في مصنفاتهم فقد وجدت فيها مسائل كثيرة وتقسيمات وأبواب وتخريجات وأقوال وإعرابات كثيرة حكموا عليها بالغرابة وأدرجوها في سلك الغرائب، وسنذكر ألفاظ الغرابة في استعمال النحاة:

1. ألفاظ الغرابة الصريحة:

لم يشع استعمال الغرابة الصريحة في مصنفات النحويين، في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وإذا استعرضنا تلك المصنفات ككتاب سيبويه، والمقتضب، وجمل الخليل، وما ورد من آراء النحاة المتقدمين في مقولات مَن بعدهم لم نعثر من ذلك على ما يمكن أن يمثل ظاهرة في كلامهم أو على الأقل مصطلحاً يطلق عندهم على مفهوم واحد محدد، خصوصا فيما يتعلق بالقضايا النحوية. وبالنظر إلى سيبويه، فإن مصطلح الغريب لم يرد عنده إلا في

[1] – جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص 750.

موضعين من كتابه، أحدهما عند حديثه على أبنية الكلم؛ قال: « وقد جاء في الكلام مُفْعولٌ، وهو غريب شاذ، ... وهو قولهم مُعْلوق للمِعْلاق» [1]، وفي هذا احتمالان أحدهما:

أن يكون المقصود بالغريب (خلاف المشهور)، على أصل استعماله اللغوي. والآخر : أن يقصد به (عديم النظير)؛ قال السيرافي معقبا على عبارة سيبويه : «ولم يجئ في كلام العرب على مُفْفول إلا أربعة أحرف : المُعلوق، والمُغْرود، وهو ضرب من الكمأة، والمُغْفور، والمُغْثور، وهما واحد معناه صَمْغ» [2]، فبناء مُفعول، إذن قليل الاستعمال في كلام العرب بناء على ما ذكره السيرافي، إلا أن سيبويه لم يقصد بالغريب في عبارته قلة الاستعمال، وإنما قصد عدم النظير، أي تفرُّدَ مثال (مُعلوق) في بابه، على الاحتمال الثاني، ويدل على ذلك أمران أحدهما: «أن سيبويه لم يحفظ في بناء مُفعول إلا مُعْلوقاً، إذ لم يرد عنده ذكر للأمثلة الأخرى التي حكاها السيرافي، وهي أصلا من حكاية ابن السكيت عن العرب، وزاد فيها (مُنخورا) للمنخر "[3]، فاستعمل سيبويه لفظة غريب، لأنّ محفوظه من بناء مُفعول مثال فرد عديم النظير والثاني: أنه لو أراد بالغريب القليل، لاستعمل لفظ القليل الذي ورد في عباراته كثيراً، أو لاستعمل لفظ لفظ الغريب في غير موضع، للدلالة على القلة ، ويؤيد هذا أن سيبويه حكم على البناء التالي لبناء مُفعول في الكتاب بلفظ القليل قال: « ويكون على مِفْعِلٌ وهو

[1] – سبويه عمرو بن عثمان قنبر، الكتاب، تح عبد السلام هارون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط3، 1983، ص273.

[2] – السيرافي أبو سعيد الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه، تح أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2008، ص 159.

[3] – ابن السكيت، إصلاح المنطق، تح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف للنشر والتوزيع، ط4، القاهرة،2005، ص222.

قليل قالوا: مِرْعِزٌ. »[1]،إلا أننا وجدنا ابن قتيبة نقل كلام سيبويه في هذا البناء (مُفعول)، وجعل في موضع قوله: «غريب شاذ، قليل غريب » [2]، فإن صح أنها عبارة سيبويه، فمعنى الغريب في كلامه خلاف المشهور المعروف، لأن القلة والفردية متنافيان بخلاف الشذوذ والفردية .

والموضع الثاني قوله في بعض الظروف كصدَدَك وسَقبك: « وهذه حروف تجري مجرى خلفك وأمامك، ولكنا عزلناها لنفسر معانيها، لأنها غرائب »[3]. فقوله (لأنها غرائب) يعني غريبة الألفاظ، فهي من باب غريب اللغة، أي الغامض الذي يحتاج إلى تفسير وتوضيح، لذلك قال بعدها: « عزلناها لنفسر معانيها»[4].

وقد استخرج أبو حاتم السجستاني أبنية من كتاب سيبويه وجمعها في كتاب سماه (تفسير غريب ما جاء في كتاب سيبويه من الأبنية) ولم يقصد السجستاني بغريب الأبنية غرابة البنية الصرفية للكلمة، وإنما غموض معانيها، لغرابة ألفاظها، فكتابه يندرج تحت باب غريب اللغة، كالغريب المصنف، وغيره.

[1] – السيرافي أبو سعيد الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه، ص273.

[2] – ابن قتيبة الدينوري، أدب الكاتب، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1988، ص394.

[3] – السيرافي أبو سعيد الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه، ص 411.

[4] – المصدر السابق، ص 411.

أما الفراء والأخفش فلم يستعملا ألفاظ الغريب لا في القضايا الصرفية، ولا في القضايا النحوية، في (معاني القرآن) لكل منهما، وكذلك فعل المبرد في (المقتضب)، وأبو إسحاق الزجاج في (معاني القرآن وإعرابه).

ولأنّ سيبويه يمثل خلاصة ما توصل إليه البحث اللغوي، منذ النصف الثاني من القرن الأول الهجري، حتى أواخر القرن الثاني الهجرين فيمكن القول: إن لفظ الغريب لم يشع استعماله في القضايا اللغوية عموما، والنحوية خصوصاً في تلك الفترة. وسبب ذلك أن الغريب قد عرف آنذاك في تفسير الغامض من مفردات القرآن الكريم أولا، والحديث الشريف، ولغة العرب ثانيا، فغلب استعماله في هذه الأبواب، إلى أن استقر التصنيف فيها؛ فأخذت الغرابة بعد ذلك تدخل في استعمالات اللغويين، والفقهاء، والمحدثين، والأصوليين. وقد احتفظ لفظ الغريب بمعناه اللغوي في عبارات النحويين خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، فاستعمل الغريب بمعنى المخالف للمشهور.

بعد ذلك وفي القرن الرابع الهجري، أخذت ألفاظ الغريب تشيع في استعمالات النحويين، ولعل قول ابن درستويه: « اجتمعت مع أبي هاشم الجبائي، فألقى عليّ بمائتي من غريب النحو، ما سمعت بها قط، ولا كنت أحفظ جوابها »[1].

[1] – الحموي ياقوت، معجم الأدباء، تح إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993، ص182.

يدل على ذلك بوضوح، ويدل أيضا على أن الغريب النحوي في تلك الفترة ظل محتفظا في بعض جوانبه بمعناه اللغوي خلافِ المشهور المعروف، فإن ابن درستويه وصف مسائل الغريب بقوله:« ما سمعت بها قط»[1]، وقد وردت ألفاظ الغريب الصريحة في مصنفات النحاة منذ القرن الرابع الهجري لمعان منها:

المعنى الأول: خلاف المشهور أو المعروف والمراد بالمشهور ما اشتهر لكونه إجماعا أو مذهبا للجمهور، أو مذهبا للأكثرين، ويقع في أبواب:

أحدها: النقل سواء كان نقلا عن العرب أو نقلَ مذهبٍ نحويٍّ فمن ذلك ما رواه ابن الدهان أن الأخفش روى: «إنّما زيدًا قائمٌ، بإعمال «إنّ» وعزاه إلى الكسائي، قال ابن الناظم: «وهو غريب»"[2]، وفي شرح التصريح: "رواه الأخفش والكسائي عن العرب سماعا »[3].

والنقل المشهور عن العرب الإهمال، كما قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوةٌ﴾.[4]

والباب الثاني: الأقوال والمذاهب، فمن ذلك، في الأدوات: مذهبُ الفراء في الفاء، أنها لا تفيد الترتيب؛ قال ابن هشام: «هذا مع قوله إن الواو تفيد الترتيب، غريب»[5]، قال الدماميني مفسرا:

---

[1] – الحموي ياقوت، معجم الأدباء ، ص 182.

[2] – الأزهري خالد بن عبد الله، شرح التصريح على التوضيح، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ص125.

[3] – المرجع السابق، ص 318.

[4] – سورة الحجرات، الآية 10.

[5] – ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح عبد اللطيف الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2000، ص 487.

«فإنه مخالف لقول الجمهور في الموضعين فاتصاف مذهبه بالغرابة مكتسب من مخالفة رأي الجمهور،"[1] على حد تفسير الدماميني.

الباب الثالث في التعليل: قول ابن عطية في تعليله الجزم بلم «لأنها [أي لم] أشبهت لا في التبرئة في أنهما ينفيان فكما تحذف لا تنوين الاسم كذلك تحذف لم الحركة أو العلامة، من الفعل »[2]، قال أبو حيان «وهو تعليل غريب»[3].

المعنى الثاني: مخالفة الاستعمال المعهود، فمن ذلك قول أبي جعفر النحاس « في باب أفعلَ الشيءُ وفعلتُه وهو باب غريب حسن»[4].وأمثلته« أنسلَ وبرُ البعير ؛ إذا انقطع وسقط، ونسلْتُهُ أنا، وأَنْزَفَتِ البئرُ ؛ إذا ذهب ماؤها، ونزفْتُها أنا، وأَقْشَعَ الغيمُ، وقَشَعَتْهُ الريحُ» [5]، وإنما حكم عليه بالغرابة لأن فعل فيه جاء متعديا وأفعل لازما والمعهود في الاستعمال العكس، كذهبَ وأذهبْتُهُ، وجلس وأجلسْتُهُ، وقعد وأقعدتُهُ.

وهذا المعنى الثاني يعني أن يوجد في الفرع اللغوي استعمالان؛ أحدهما معهود، والآخر غير معهود، كما في باب فعل وأفعل فالمعهود فيه كون فعل لازما وأفعل متعديا.

---

[1] – الدماميني محمد بن أبي بكر، شرح الدماميني على مغني اللبيب، مؤسسة التاريخ العربي للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1996، ص843.

[2] – ابن عطية الأندلسي، المحرر العزيز في تفسير الكتاب العزيز، تح عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2001، ص107.

[3] – أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تح عادل أحمد وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993، ، ص248.

[4] – أبو جعفر النحاس، صناعة الكتاب، تح بدر أحمد ضيف، دار العلوم العربية للنشر والتوزيع، ط1، 1990، ص279

[5] – المرجع السابق، ص 280.

2. ألفاظ الغرابة الضمنية: استعمل سيبويه عبارات «لا يُعْرَف، غير معروف، ليس هذا بالمعروف، لا نعلمه للدلالة على ما لم يكن مشهورا أو معروفا، وهذا كله بمعنى، كما استعمل عبارات ليس له نظير، لا نظير له، لم يكن له نظير للدلالة على التفرد»[1].

وعبر النحاة في الأصول عن الغريب بالفرد، وذلك في باب السماع، كما فعل أهل الحديث في تعبيرهم بالفردية تارة، وبالغرابة تارة، وقد لخص السيوطي المسموع الفرد من كلام ابن جني في أحوال أحدها: «أن يكون فردا بمعنى أنه لا نظير له في الألفاظ المسموعة، مع إطباق العرب على النطق، كقولهم في النسب إلى شنوءة: شنئي، فهذا يقبل ويقاس عليه إجماعا؛ لأنّه لم يسمع ما يخالفه، ولأن العرب قد أطبقت على النطق به »[2]. وقصره السيوطي هنا على الألفاظ المسموعة.

ويلحق بها من التراكيب قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلاَّ أن قَالُوا﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ}﴾[4]، وقوله عز وجلا: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أن قَالُوا ربَّنا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾[5] قال ابن عاشور: «وهو استعمال ملتزم غريب، مطرد في كل ما وقع فيه جزء الإسناد ذاتين أريد حصر تحقق أحدهما في تحقق

[1] – ابن قتيبة الدينوري، أدب الكاتب، ص204.

[2] – جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تع محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، ط2، 2006، ص49.

[3] – سورة الأعراف، الآية 5.

[4] – سورة النمل، الآية 56.

[5] – سورة آل عمران، الآية 147.

الآخر، لأنهما لما اتحدا في الما صدق واستويا في التعريف، كان المحصور أولى باعتبار التقدم الرتبي، ويتعين تأخيره في اللفظ، لأن المحصور لا يكون إلا في آخر الجزأين».[1]

والثانية: «أن يكون فردا بمعنى أن المتكلِّم به من العرب واحد، ويخالف ما عليه الجمهور، ويشترط لقبوله كون المتكلِّم فصيحا في جميع ما عدا القدر الذي انفرد به، وكون المتكلَّم به مما يقبله القياس. »[2]

والثالثة: «أن ينفرد به المتكلم، ولا يسمع من غيره لا ما يوافقه ولا ما يخالف فذا يقبل إن ثبتت فصاحة المتكلِّم به لأنه إما أن يكون سمعه عمن نطق به بلغة قديمة، لم يشارَك في سماعه وإما أن يكون شيئا ارتجله »[3].

فالحال الأولى تفرُّدٌ في الصورة التي أتى عليها الفرع اللغوي، سواء كان الفرع كلمة مفردة كشنئي، أو تركيبا كالآيات الكريمة، والحالان الثانية والثالثة تفرّدٌ في المتكلم بالفرع اللغوي ثم قد يخالف المنقول عن الجمهور فهذه الثانية، أو لا يوجد من غيره ما يخالفه ولا يوافقه وهذه الثالثة.

[1] – ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، (د، ط)، 1984، ص25.

[2] – جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، ص49.

[3] – جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، ص51.

كما عبر النحاة، عن الغرابة، بما يدل على التفرد من ألفاظ وعبارات فمن ذلك منعهم تقديم معمول أنّ عليها فلا يقال طعامَك أريدُ أن آكلَ، وتجوزيهم تقديم معمول لن عليها قال السيوطي: «لا يتقدم معمول أن عليها عند جميع النحاة، إلا الفراء.. ويجوز تقديم معمول لن عليها عند جميع النحاة، إلا الأخفش الصغير »[1]. فالتفرد مستفاد من استثناء الفراء والأخفش من عموم النحاة فيما ذهبا إليه.

[1] – جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، ص167.

الخاتمة

الخاتمة:

نستخلص من هذا البحث مجموعة من النتائج نذكر منها:

1-يقصد بالغريب لغة البعيد عن وطنه والغامض من الكلام.

2-يستعمل الغريب من الكلام على وجهين: الوجه الأول يراد به اللفظ الذي يصعب فهم معناه بسهولة لبعد معنى اللفظ وغموضه، والوجه الثاني يراد به كلام القبائل العربية التي بعدت بها الدار.

3-يعني اللفظ مجموعة أصوات تواضع الناس على أن تكون جزءا من الكلام.

4-إنّ المعنى هو الصورة الذهنية للأشياء الموجودة في العالم الخارجي وهو القصد الذي يقع به القول على وجه دون وجه

5-إنّ الحديث عن الغرابة كثر بعد العصر الأموي حيث ازداد الاختلاط بالأعاجم.

6-إنّ اهتمام النقاد العرب القدامى بالفظة يعود إلى أنّها الوسيلة التي يعرف بها ما في العمل الأدبي من قيم فنية.

7-إنّ الذي بعث الرواة على الاحتفال بالشعر الكثير الغريب هو اعتقادهم بأنّه صحيح النسبة إلى قائليه أو غير منحول لأنّهم كانوا يرون أنّ الشاعر إذا لانت ألفاظه حمل عليه مالم يفعله

8-إنّ البليغ عند الجاحظ هو من يكسو عباراته جمالا فنيا مرده إلى رشاقة الألفاظ وجزالتها وعذوبتها وانكشاف دلالتها.

9-يرى أبو عباس ثعلب أنّ غرابة الألفاظ تتأتى عادة من طريق ندرة استعمالها وعدم جريانها في أكثر ما يقرأ أو أكثر ما يسمع.

10-شخص الآمدي السبب الذي يؤدي إلى غموض المعاني الشعرية وهو لجوء الشاعر إلى استعمال الألفاظ المتروكة.

11-كان في مقدمة من فسروا غريب القرآن الكريم الصحابي الجليل عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما.

12-يدخل في الغريب النحوي ما دلوا على غرابته صراحة أو ضمنا.

13-لم تشكل الغرابة في القضايا النحوية ظاهرة عند النحاة المتقدمين، ولا استعملوا الغريب مصطلح يطلق على مفهوم واحد.

14-تقع الغرابة في المنقول والمحكي من المذاهب والأقوال وفي النقل، ويعني به الطريق المؤدي إلى المنقول وفي الفروع النحوية.

قائمة المراجع والمصادر

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم مصطفى واخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، إسطنبول، تركيا، ط2، 1996، ج1.
2. ابن السكيت، إصلاح المنطق، تح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4 ،2005.
3. ابن حسن جازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية للنشر والتوزيع، تونس، (د، ط)، 1966.
4. ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تح عبد المتعال الصعيدي، مكتبة محمد علي ضبيح وأولاده للنشر والتوزيع، الأزهر، (د، ط)، 1969م.
5. ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، (د، ط)، 1984.
6. ابن عطية الأندلسي، المحرر العزيز في تفسير الكتاب العزيز، تح عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2001.

المصادر والمراجع

7. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الفكر للنشر والتوزيع، (د، ط)، 1979، ج5.

8. ابن فارس، مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الفكر للنشر والتوزيع، (د، ط)، 1998، ج4.

9. ابن قتيبة الدينوري، أدب الكاتب، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1988.

10. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2000، مج2.

11. ابن موسى المرزباني، الموشح، تح علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د، ط)، 1966م.

12. ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح عبد اللطيف الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2000.

13. أبو البقاء الكوفي، الكليات، تح عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، (د، ظ)، 1998.

14. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، المقاييس، تح عبد السلام محمد هارون، دار الجبل للنشر والتوزيع، بيروت، (د، ط)، 2002، مج4.

15. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، 2010، م 16.

16. أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1 1978.

17. أبو جعفر النحاس، صناعة الكتاب، تح بدر أحمد ضيف، دار العلوم العربية للنشر والتوزيع، ط1، 1990.

18. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تح عادل أحمد وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993.

19. أبو عبيد القاسم الهروي، غريب الحديث، مجلس دائرة المعارف العثمانية للنشر والتوزيع، اباد الدهن، الهند، ط1، 1964، ج1.

20. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح مفيد قميحة، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1989.

المصادر والمراجع

21. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الجبل للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2007.

22. أحمد مصطفى المروغي، علوم البلاغة، شركة القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012 .

23. الأزهري خالد بن عبد الله، شرح التصريح على التوضيح، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992.

24. الإمام الطيبي، التبيان في البيان، تح عبد الستار حسين زبوط، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، (1416هـ/1926م).

25. العلوي بن إبراهيم اليمني، الطّراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، دار الكتب للنشر والتوزيع، (د، ط)، 1914، ج1.

26. الامام الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1979.

27. الإمام بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1993، ج1.

28. بدوي بطانة، قضايا النقد الأدبي، دار المريخ للنشر والتوزيع، الرياض، (د، ط)، 1984.

29. جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تح عبد الغال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1985، ج3.

30. جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تع محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، ط2، 2006.

31. حاجي الخليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر للنشر والتوزيع، (د، ط)، 2007، م5.

32. حامد عونى، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث للنشر والتوزيع، (د، ط)، 2009، ج5.

33. حسين لفته حافظ الزيادي، المعني في النقد العربي القديم حتى نهاية القرن السابع الهجري، مذكرة دكتوراه، ت اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية، كلية الأدب، جامعة الكوفة، 2007.

34. الحموي ياقوت، معجم الأدباء، تح إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993.

المصادر والمراجع

35. حميد أدم ثويني، البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007.

36. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، أبحاث للنشر والتوزيع، ط1، 2007.

37. الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، انشارات إسوة للنشر والتوزيع، طهوان، ط3، 2004، ج3.

38. الدماميني محمد بن أبي بكر، شرح الدماميني على مغني اللبيب، مؤسسة التاريخ العربي للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1996.

39. الزجاج ابن إسحاق إبراهيم ابن السري، معاني القرآن وإعرابه، تح عدره شبلي، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2006، ج1.

40. زكي نجيب محمود، فنون الأدب، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط2، 1959.

41. سليمان عيسى سحر، المدخل إلى علم الأسلوبية والبلاغة العربية، دار البداية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011.

42. سيبويه عمرو بن عثمان قنبر، الكتاب، تح عبد السلام هارون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط3، 1983.

43. السيرافي أبو سعيد الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه، تح أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 2008.

44. صنعة أبو عبيدة التميمي، مجاز القرآن، تح محمد فؤاد سركين، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، ط2، 1987.

45. ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر النشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، (د، ط)، 1999، ج4.

46. عاطف فضل، البلاغة العربية، دار الرازي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، (1426هـ/2002).

47. عباسية بن سعيد، محاضرات في مقياس النقد الأدبي القديم، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 2020.

48. عبد الفتاح لاشين، الخصومات البلاغية والنقدية في صنعة أبي تمام، دار المعارف للنشر والتوزيع، مصر، (د، ط)، 1982.

49. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز في علم المعاني، تح ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، (د، ط)، 2005.

50. عبد المتعال الصعيدي، بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، ط17، 2005، ج4.

51. عبده عبد العزيز قليقلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ط4، 2004.

52. عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبين، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، مصر، ط5، 1985.

53. عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تح عبد السلام محمد هارون، مصطفي ألباني الجاحظ، دار القاهرة للنشر والتوزيع، مصر، ط2، 1968.

54. علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، (د، ط)، 1966.

55. الفاضل الباقلاني، الاتقان في علوم القرآن–وبأسفل الصحائف إعجاز القرآن، مطبعة البابي الحلبي للنشر والتوزيع، مصر، ط4، 1978، ج1.

56. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، (د، ط)، 1978، مج1.

57. محمد جبار المعيبد، ديوان عدي بن زيد العبادي، وزارة الثقافة والإرشاد العراقية للنشر والتوزيع، 1965.

58. نبيل أبو حلتم واخرون، موسوعة علوم اللغة العربية، قواعد، صرف، بلاغة، إملاء، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (د، ط)، 2003.

فـهـرس المحتويات

فهرس المحتويات:

الإهداء

مقدمة.....أ

الفصل الأول: البلاغة والفصاحة بين اللفظ والمعنى:

تمهيد.....06

1-مفهوم البلاغة.....06

أ. لغة.....06

ب.اصطلاحا.....07

2-مفهوم الفصاحة.....08

أ.لغة.....08

ب.اصطلاحا.....09

3-شروط الفصاحة.....10

أ. شروط فصاحة الكلمة.....10

ب. شروط فصاحة الكلام.....13

ج. شروط فصاحة المتكلم.....17

4-مفهوم الغرابة.....17

أ.لغة.....18

ب.اصطلاحا.....19

5-مفهوم اللفظ.....19

أ. لغة.....19

ب. اصطلاحا.....20

6-مفهوم المعنى.....21

أ.لغة.....21

ب.اصطلاحا.....23

7-الفصاحة والبلاغة بين الدال والمدلول.....24

الفصل الثاني: أثر الغريب في شرح النصوص العربية.

تمهيد.....28

1-غرابة الألفاظ ومعانيها.....28

2-تناول كتب التفسير للغريب.....40

3-ألفاظ الغرابة في استعمال النحاة.....46

1.ألفاظ الغرابة الصريحة.....46

2.ألفاظ الغرابة الضمنية.....52

الخاتمة.....56

قائمة المصادر والمراجع.....60

فهرس المحتويات.....69